



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الصراع العربي البربري ببلاد المغرب الإسلامي
في عصر الولاة
(96-132هـ / 716-752م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس (ل-م-د) في التاريخ العام

تحت إشراف الأستاذ:

- حميد زيدور

من إعداد الطالبات:

- ✓ ايمان برجوح
- ✓ بسمة فقيري
- ✓ حبيبة مكاي
- ✓ رابح خيرواني
- ✓ سميحة أحمودة
- ✓ صبرينة غزال
- ✓ علي برتيمة
- ✓ ياسر صماري

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/2013-2014

- شكر وعرفان -

قال تعالى << فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون >> البقرة الآية

. 152

فالشكر لله على نعمه والآئه وفضله وإحسانه أن أتم علينا نعمة انجاز مجئنا هذا . ووفقنا

بهديه في تقديمه قبسة عساها تندررب طالب العلم والمعرفة إن شاء الله

وبكلمات بأريج الزهور مطيبة، ومداد العبر مسجلة، نوجه أرق وأقوى عبارات الشكر الجزيل

والامتنان الكثير مع الدعاء بالعمو والعافية من رب السموات والأرض لأستاذنا ومشرفنا

حميد زيدور رمزاً للعطاء ورحابة الصدر وإليك نقول:

عصتنا الطيعات من القوافي فما ندري وحقك ما نقول

ونخص بالشكر الأستاذ مكايي أحمد الذي لا يسعنا ونحن نقطف من ثماره

العذبة على ما أبداه لنا من تعاون وجزاه الله خيراً

ولانسى إخواننا في مكتبة الطلبة على ما أبدوه لنا من تعاون ومحبة و

كذلك مكتبة الجامعة، سائلين المولى أن يحفظهم ويجزيهم خير الجزاء .

ياسر - إيمان - علي - حبيبة - رابع - صبرينة - بسمة - سميحة

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات :

تح : تحقيق .

تر : ترجمة .

تق : تقديم .

د ب : دون بلد .

د س : دون سنة .

دط: دون طبعة.

ص :صفحة .

ص ص : صفحات .

ط : طبعة .

م : ميلادي .

مج:مجلد.

مر :مراجعة .

ن ش : نشر .

هـ :هجري .

مقدمة

مقدمة :

يعتبر البحث في التاريخ الإسلامي بالمغرب حدير بالدراسة لما عرفته المنطقة من أحداث هامة بعد الفتح وخاصة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، وهذا بعد التغيرات التي كان لها صدى على المنطقة، حيث كان لتواجد المسلمين بالمنطقة التي فتحت حديثاً آنذاك إثراء لتاريخ الأمة، وخاصة عند استقرار المسلمين ليبدأ عصر الولاة على هذه الدولة الأموية التي شهدت وصول فاتحيها إلى المغرب وفتحهم لأهم معاقل النصرى البيزنطيين.

وكان اختيارنا لموضوع الصراع العربي البربري بالمغرب عصر الولاة لأن معظم الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ المغرب، إما ركزت على الفتح أو على الولاة الذين حكموا المغرب في تلك الفترة، مثل ما جاء به كتاب عبد المنعم عمر حمدي الذي عنوانه ثورات البربر بالمغرب والأندلس، أو إما أنهم تعرضوا لعصر الولاة دون التفصيل في ثورة البربر بالمغرب أو التركيز أكثر على ثورات البربر بإفريقية أو ثوراتهم عصر الإمارة، وبالتالي وقع اختيارنا على هذا الموضوع في فترة الولاة الممتدة من 96 هـ-132 هـ / 716م-752م للتعرف أكثر على سياسة الولاة، وطبيعة الصراع بين العرب والبربر في تلك الفترة.

وعليه نطرح الإشكالية الرئيسة التالية: ما طبيعة الصراع العربي البربري بالمغرب إبان فترة حكم الولاة؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية إشكاليات فرعية وهي: ما الذي شهده عصر الولاة في بلاد المغرب؟ كيف كان الصراع العربي البربري في تلك الفترة؟ وما هي أهم النتائج المترتبة عن هذا الصراع؟ أي ما هي الظواهر الكبرى لعصر الولاة ببلاد المغرب الإسلامي؟

ولدراسة هذا الموضوع وضعنا خطة مناسبة، لذلك قسمنا الموضوع إلى مقدمة، تمهيد، وثلاث

فصول ثم خاتمة.

ففي المقدمة ذكرنا أهمية الموضوع، دوافع اختيار الموضوع، إشكالية خطوات الموضوع المتبع، دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع.

أما في التمهييد ذكرنا الأوضاع قبيل الصراع وهي فترة حكم حسان بن النعمان الغساني وموسى بن نصير، وفي الفصل الأول عرضنا فيه عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي تطرقنا فيه لتعريف عصر الولاة وتعريف العرب والبربر وأهم الولاة وأعمالهم.

أما الفصل الثاني، فقد تعرفنا على طبيعة الصراع ودرسنا فيه سياسة الولاة الأمويين بالمغرب وقسمناها إلى فترتين: الاستقرار والاضطراب وتطرقنا إلى أربعة ثورات بين العرب والبربر.

وأما الفصل الثالث: بينا أهم النتائج وقسمناها إلى نتائج قرينة المدى وأخرى بعيدة المدى ، وأخيراً خاتمة لخصنا فيها مضمون الصراع .

واتبعنا المنهج الوصفي والتحليلي وكذلك اتبعنا المنهج المقارن الذي قارنا من خلاله النصوص المصدرية، وكذلك استخدمنا المنهج النقدي بحيث عرضنا الوقائع والأحداث ووصفناها وصفاً سياسياً. واعتمدنا على مصادر تاريخية أهمها الرقيق القيرواني مقارنة مع ابن خلدون ، فالرقيق ساعدنا كثيراً في معرفة القبائل البربرية من بطونها وأنسائها ومعاقلها ودولها التي تكونت ببلاد المغرب.

كما اعتمدنا كذلك على عدة مراجع أهمها عبد العزيز فيلاي وكتابه المظاهر الكبرى، مقارنة مع موسى لقبال وكتابه المغرب الإسلامي حيث أفادنا في معرفة أهم الولاة الذين دعموا بلاد المغرب وأهم الثورات البربرية التي قامت بالبلاد.

تہید

تمهيد :

سبقت فترة عصر الولاة ببلاد المغرب مرحلة الفتح الإسلامي التي كانت على يد أربعة قادة، وهم عقبة بن نافع الفهري، وزهير بن قيس البلوي، حسان بن النعمان الغساني، وموسى بن نصير، ونخص بالذكر في هذه الدراسة مرحلة قبيل عصر الولاة وهي فترة حسان بن النعمان الغساني، وموسى بن نصير.

كانت فترة حسان بن النعمان الغساني بعد قتل زهير، حيث تم تعيينه من قبل عبد الملك بن مروان من أجل الاحتفاظ بالبلاد المغربية في حوزة المسلمين، فاحتل مدينة قرطاجة التي كانت عاصمة الروم البيزنطيين بالشمال الإفريقي كله، أما البربر فإنهم بعد موت أميرهم كسيلة تولت قيادتهم امرأة تسمى "داهية" وأطلق عليها العرب "الكاهنة" لأنها كانت تدعي علم الغيب، وهكذا أصبح لزاماً على القائد العربي حسان، إذ أراد تحقيق غايته أن يجارب هذه المرأة، وبعد أن قضى عليها دان له معظم البربر بالطاعة، فكون منهم أول حكومة إسلامية بالشمال الإفريقي، ويلاحظ أن بداية اعتناق البربر للإسلام بكيفية صحيحة أكثر من ذي قبل لأنه اهتم بتعريف الناس مسائل دينهم وأتاح لهم بتعلم العربية.

خلف القائد المعزول حسان في الولاية على إفريقية موسى بن نصير، حيث استمر في الحرب ضد الذين خرجوا عن طاعة المسلمين، بعد مقتل عقبة وزهير، ولما استولى على مدينة طنجة واتخذها عاصمته في المغرب، وبعد أن أتم إخضاع كافة البربر عمل على تحويل ما بالبلاد، كما بنى مسجداً بأغامت هيلانة وما يدل على حنكة هذا القائد العربي وبعد نظره أنه سرعان ما أدرك أن ضمان السيطرة على المغاربة (البربر) بالقوة والسيف لا يمكن أن تدوم، خصوصاً وقد رأى أنهم برهنوا على ذلك عملياً من شجاعة وحب للحرية، بل رأى أنهم لجئوا إلى سياسة الأرض المحروقة في عهد ملكتهم داهية، حيث قاومهم العرب مقاومة عنيفة لأنهم كانوا يجهلون خلال تلك المدة الغاية السامية التي جاء العرب من أجلها حتى قدوم موسى بن نصير، فأفهمهم تلك الغاية بطريقة نظرية وعملية كما عمل على تفتيهم في أمور الدين، وكون من البربر

جيشاً وجعل عليه قادة براءة مسلمين من بينهم طارق بن زياد، وما إن أتم موسى تنظيمهم حتى فتح أمامهم مجالاً واسعاً بغزو اسبانيا، حيث أتاح لهم الفرصة لإظهار شجاعتهم وإشباع نخوتهم في ميدان الحرب لأجل ابتغاء مرضاة الله، وتأييداً للمثل العليا التي جاء بها الإسلام للبشر كافة.

الفصل الأول: عصر الولاية ببلاد المغرب

المبحث الأول: تعريف عصر الولاية

المبحث الثاني: أصل العرب والبربر

المبحث الثالث: الولاية وأهم أعمالهم

أ- مرحلة الاستقرار

ب- مرحلة الاستقرار

ج- مرحلة السقوط

المبحث الأول: تعريف عصر الولاة:

يطلق مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ، 705-715م)، لموسى بن نصير من بلاد المغرب والأندلس، سنة (96هـ-715م)، حتى قيام أول دولة مستقلة عن السلطة المركزية في هذه المنطقة¹، أي تلك الفترة الزمنية الواقعة بين انتهاء زمن الفتح وقيام دولة الأغالبة².

انقسم المغرب في عصر الولاة بعد تمام الفتح إلى أربعة أقسام كبرى وهي: (إفريقية-المغرب الأوسط-المغرب الأقصى-السوس أو سجلماسة)، ففي إفريقية يبدأ عصر الولاة من إنشاء القيروان، سنة 50هـ/670م، إلى قيام دولة الأغالبة 184هـ/800م.

أما بالنسبة للمغرب الأوسط فيبدأ من حوالي سنة 85هـ/704م، ويستمر حتى 164هـ/781م، أي عند قيام دولة بني رستم الخارجية في النصف الغربي من المغرب الأوسط وقاعدتها تاهرت.

وكذلك بالنسبة للمغرب الأقصى، فيبدأ عصر الولاة حوالي سنة 90هـ/709م، وهي السنة التي أنشأ فيها موسى بن نصير ولايتي المغرب الأقصى والسوس أو سجلماسة، وينتهي سنة 172هـ/788م، وهي السنة التي قامت فيها دولة الأدارسة في فاس، وفي سنة 155هـ/772م أقام أبو القاسم، دولة بني مدرار في سجلماسة³.

ويدل كذلك اسم عصر الولاة على وضع سياسي معين شهدته البلاد الإسلامية، في الجناح الغربي للخلافة، منذ أن تم للمسلمين فتحها في نهاية القرن الأول الهجري الموافق للسابع ميلادي، فقد كانت بلاد

¹ - عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار هومة للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2008، ص19.

² - علي محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، دار ابن الجوهي، ط2، القاهرة مصر، 2007، ج1، ص 357.

³ - حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987، ص177.

المغرب تتبع السلطة المركزية مباشرة في دمشق في عهد الدولة الأموية، ويتجلى مظهر هذه التبعية في الولاة العرب المسلمين، الذين تولوا شؤون المغرب باسم السلطة المركزية، وقاموا بتنفيذ السياسة التي رسمها الخليفة وأعوانه في بلاد المشرق.¹

حرص خلفاء بني أمية في دمشق على طبع الدولة الإسلامية بالطابع العربي الإسلامي شكلاً ومضموناً، فكانوا يشترطوا بأن يكون الوالي عربياً، ومن الذين عملوا في أرض كنانة (مصر)، وذلك لاعتبارات خاصة، وهي قرب الديار المصرية من بلاد المغرب، وكذا وجود تشابه في الأقليات الدينية، ولما تمتاز به من تشابه في الأنظمة البيزنطية الموروثة عن الروم في هذين البلدين.² فكان الولاة يعينون مرة من قبل الخليفة مباشرة، ومرة أخرى من قبل والي مصر³، حيث يتمتع كلاهما بصلاحيات مطلقة فيجمع في يديه مختلف الاختصاصات لكونه الممثل الشرعي والوحيد للخليفة الأموي، ويمتاز بثقة واسعة ونفوذ كبير، إذ يقوم بتسيير الإدارة المدنية والعسكرية والدينية والمالية.⁴

امتاز هذا العصر في البداية بوئام بين العرب والبربر، الذين رحبوا بالدين الجديد فانظموا إلى الجيش الإسلامي، وبذلك كثر بناء المساجد والكتاتيب، في سائر البلاد الإفريقية، حيث انتشرت الثقافة الإسلامية بين البربر.⁵ فيعتبر هذا العصر عصر الدخول في الإسلام وتحول المجتمع إلى مجتمع إسلامي أو إسلامي عربي، في روحه وثقافته واتجاهه في الحياة،⁶ فأصبح البربر يتمتعون بكل حقوق العرب المجاهدين في سبيل الله، فاختلط بذلك العرب مع البربر وصاهروهم، فبدأ يظهر جيل بربري مسلم مستعرب، وكذلك أنشأ العرب قاعدة إسلامية

¹ - عبد العزيز فلاي، مرجع سابق، ص 19.

² - موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص 142.

³ - عبد الواحد ذنون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المنار الإسلامي، ط1، بنغازي ليبيا، 2004، ص 126.

⁴ - عبد العزيز فلاي، مرجع سابق، ص 29.

⁵ - علي محمد الصلاي، مرجع سابق، ص 358.

⁶ - عبد الواحد ذنون طه وآخرون، مرجع سابق، ص 125.

تحولت إلى مركز إشعاع إسلامي، فبدأ الجو العلمي للبلاد يتغير بتأثير الإسلام والعربية¹، لكن هذا السلام لم يدم وكان ذلك سببه سوء معاملة الولاة للبربر، فالولاة لم يتبعوا سياسة موحدة فمنهم من اتبع سياسة العدالة والمؤاخاة بين العرب والبربر، ومنهم من اتبع العكس، وبعضهم لم يفكر في نشر الدين من الأساس بل في الفتوح والغنائم التي سيحنيها، وبذلك نشبت الثورات وعدم الاستقرار في هذا العصر²، منها صراعات متعددة بين العرب البلدانيين وهم عرب الفتح ممن استقروا في البلاد وأنشؤا جاليات عربية مغربية تتطلع إلى الحكم، وبين العرب والبربر، مما بلغ ذروته في الفتنة المغربية الكبرى التي بدأت في خلافة هشام بن عبد الملك، وهي ثورة ميسرى المدغري، وانتهت هذه قبل نهاية العصر الأموي سنة (132هـ-750م) بفضل جهود بعض ولاة بني أمية، وخاصة حنظلة ابن صفوان الكلبي، وشهد كذلك هذا العصر عدة حروب بين العرب والبربر أهمها موقعة بقدورة و موقعة القرن والأصنام وكذلك الأشراف، وستتطرق لشرح هذه المواجهات في الفصل القادم.³

1 - حسن مؤنس، معالم تاريخ المغرب العربي والأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، ط، د ب ، 2004، ص ص 65-66 .

2 -علي محمد الصلاحي، مرجع سابق ، ص358-359 .

3 -حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص179.

المبحث الثاني: أصل العرب والبربر :

أ/العرب:

غير معروف بالتحديد رغم التفاسير المختلفة التي يقدمها علماء اللغة، والبعض يقول أن الكلمة مشتقة من أصل سامي معناه "العرب"، وقيل أن لفظة "عرب" مشتقة من اسم الجد الأعلى الذي كان يسمى "يعرب بن قحطان"، واختلفت التفسيرات بين العلماء حول أصل كلمة "العرب" ففي الوثائق الآشورية والبابلية فهي بمعنى البادية الواقعة غرب الرافدين وبادية العراق، أما في النصوص الفارسية فهي تعني البادية الفاصلة بين العراق والشام. مما فيه شبه جزيرة سناء¹.

أما في الكتابات الكلاسيكية فنجد هريودوت يقول: بأنها تعني البادية وشبه جزيرة العرب، وهي الأرض الواقعة إلى الشرق من نهر النيل.

أما في القرآن الكريم فهو أول مصدر ورد فيه لفظ العرب للتعبير عن الجنس العربي، مما يدل على وجود كيان قومي خاص يشير إليه هذا اللفظ قبل نزول القرآن الكريم، حيث وردت كلمة "العرب" عشرة مرات وكلمة "عربي" احد عشرة مرة².

وقسم المؤرخون العرب إلى ثلاث أقسام: العرب البائدة والعاربة والمستعربة، فالعرب البائدة هم الذين بادوا ودرست آثارهم وانقطعت عنا تفاصيل احبارهم ولم يبقى ذكرها إلا النذر القليل لتقادم عهدهم، وكذلك ما ذكر في الكتب السماوية والشعر العربي كأخبار عاد وثمود ومن أشهر قبائلهم عاد، ثمود، طسم، جديس، وجرهم³.

¹ - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح: سهيل بكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، بيروت لبنان، 2000، ج6، ص ص25-26.

² - محمد طه محمود، دروس في التاريخ الإسلامي، مطبعة الاستقامة، ط1، د ب، د س، ج1، ص20.

³ - عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، دار الثقافة للنشر، د ط، د ب، د س، ص ص28-29.

أما القسم الثاني فهم العرب العاربة* وهم شعب قحطان وموطنهم بلاد اليمن، ومن أشهر قبائلهم، جرهم ويعرب ومن هذه الأخيرة تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين هما : كهلان وحمير، كلاهما تفرعوا إلى قبائل أخرى.

ولما أخذ اليمينيون بأسباب الحضارة قامت لهم عدة ممالك أشهرها مدين وسبأ وحمير وغيرها، فأرادت ملوك سبأ أن تقيم سدا لحفظ مياه الأمطار، يسمى العرم فتحولت أراضيهم إلى جنات كما فصل القرآن الكريم ذلك في سورة سبأ .

ولما أخذت بلاد اليمن في الانحطاط، وانكسر السد غرقت بلادهم وتفرقوا في شتى أنحاء الجزيرة العربية¹.

أما العرب المستعربة : ويقال لهم العرب المتعربة أيضا كما في القاموس سموا بذلك لأن إسماعيل كان يتكلم العبرانية والسريانية، تزوج منهم وتعلم هو وأبناءؤه العربية فسموا بذلك العرب المستعربة وهم جمهور العرب من البدو والحضر، الذين سكنوا أواسط جزيرة العرب وبلاد الحجاز إلى بادية الشام، حين خالطهم أخيرا في مساكنهم عرب اليمن بعد انكسار سد العرم².

ب/البربر:

سكان المغرب يعرفون من أقدم العصور بالبربر، فهو لفظ إغريقي كان اليونان يطلقونه على كل من لا يتكلم الإغريقية³ فقد كانت لغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وسموا بالبربر عندما غزا افريقش بن قيس بن صفى من ملوك التابعة للمغرب وإفريقية وقتل الملك جرجير، وبنى المدن والأمصار فيها، وبذلك⁴

* يقال عرب عاربة وعرباء وعربية: أي صرحاء خلص، وهم العرب الأصليون.

¹-حسين إبراهيم حسين، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل، ط، بيروت، د س، ج 1، الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، ص13.

²-عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ الدولة العربية، مرجع سابق، ص30.

³-عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق، صص116-117-118.

⁴-حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص30.

سميت إفريقيا باسمه، لأنه رأى جبل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال: "وما أكثر بربرتكم"، فسموا بالبربر والبربرة تعني اختلاط الأصوات الغير مفهومة.¹

أما العرب فيقولون أن البربر من أولاد مهاجر عربي من حمير يسمى "بر بن قيس" ويقال أن هذا الرجل عندما هاجر إلى المغرب لم يفهم لهجة هؤلاء الناس فسماه بربرة وسمى الذين يتكلمون بها البربر.²

ويذهب بعض العلماء إلى أن البربر من أصل هندو أوروبي، أي من أصل اليافتي المنسوب إلى يافت بن نوح عليه السلام، وخرجوا في عصور متقدمة من الهند ومروا بفارس ثم بالقوقاز.³

أما الحقيقة فهي أن البربر شعب إفريقي سكن هذه البلاد من أقدم العصور، فالبربر أنفسهم لا يطلقون على أنفسهم هذه التسمية، وينقسم البربر إلى قسمين كبيرين هما:

1- البربر البدو:

ويسمون بالبتر وهم من الجنوب الغربي من قلب القارة الإفريقية وهم أربعة أجدام-اداسة ونفوسة وضربة وبنو الأكبر.

2- البربر الحضري:

ويسمون بالبرانس أصلهم من سكان البحر المتوسط وهم أصل البربر والذين حكموا هذه البلاد من أقدم العصور.⁴

¹- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص 30.

² - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، ص 119

³ - عثمان الكعاك، البربر، تق: سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، ط1، د س ، 2010، ص 24.

⁴ - ابن عذارى المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان، دار الثقافة، ط3 بيروت، ج1، 1983. ص 47.

عاش البربر في بلادهم قرونا متطاولة قبل الفتح الإسلامي ولهم تاريخ وحروب خاصة مع الإغريق والرومان. واكبر قبائل البدو أشهرها زناتة، وغلب عليها هذا الاسم رغم تفرعها إلى أجدام وبطون كثيرة، أما البرانس فلا تغلب عليهم تسمية واحدة لأنهم شعوب ضخمة، وأشهر جماعاتهم، أزادجة، مصحودة، أوربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة

المبحث الثالث: الولاة وأهم أعمالهم:

مر عصر الولاة ببلاد المغرب بثلاث مراحل مختلفة من 96 إلى 132هـ وتمثلت في مرحلة الاستقرار، والاستقرار، ومرحلة السقوط.

أ/مرحلة الاستقرار:

تميزت هذه المرحلة بالهدوء والاستقرار وذلك بسبب السياسة التي كان ينتهجها ولاة هذه الفترة خاصة في المساواة بين العرب والبربر وقد عرفت هذه المرحلة خمسة ولاة نذكر منهم:

عبد الله بن موسى (96هـ-97هـ) ومحمد بن يزيد القرشي (97-100هـ) ثم إسماعيل بن عبد الله (100-101هـ) وكذلك يزيد بن أبي مسلم (102-103هـ) وأخيرا بشر بن صفوان (103-109هـ)، ومن أهم الأعمال التي قاموا بها هؤلاء الولاة هي: نشر الإسلام بين القبائل البربرية، فكان لمحمد بن يزيد القرشي الذي تولى تعيينه من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك أثر واضح في ذلك، حيث أمره قائلا: >>يا محمد بن يزيد اتقي الله وحده لا شريك له، وقم فيما وليتك بالحق والعدل وقد وليتك إفريقية والمغرب كله¹<<، فكان خير مثال للوالي العادل والطيب، حيث كان يقسم ما يجنيه من غنائم على جنوده دون أن يحتجز لنفسه شيئا منه².

¹ - ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص 47.

² - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية، دط، مصر، د س، ص 203.

إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر دينار الذي ولاه عمر بن عبد العزيز، كان يعمل على نشر الإسلام بين البربر وتعليمهم وتنقيفهم الديانة الإسلامية فبعث معه الخليفة عشرة من التابعين الفقهاء من أهل علم وفضل وهم: أبو عبد الرحمان عبد الله بن يزيد المعافري الحلبي، أبو مسعود سعيد بن مسعود التجيبي، أبو الجهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي، وأبو سعيد جعقل بن عاهان بن عصير الرعيني الغساني، وحيان بن أبي حسلة القرشي، وموهب بني المعافري، وطلق بن حيان الفارسي، وبكر بن سودة الجذامي، وإسماعيل بن عبيدة الله الأعرور¹، فتحول البربر إلى أمة إسلامية ولم يبقى على غير الإسلام في المغرب سوى جماعة من الروم وطائفة من اليهود²، حيث نستثني في هذه الفترة يزيد بن أبي مسلم (102-103) الذي قام بتغيير عام في سياسة الدولة³، أي على خلاف سياسة التسامح واللين في الفترة التي سبقت، وبذلك عرفت الدولة الأموية انقلابا في سياستها، حيث سادت سياسة الشدة والعنف فقام بإجراء لم يسبق أن اعتمده والي من ولاة المغرب الإسلامي قبله، فقد عمد على وشم حرسه بكتابة اسم <<الرجل>> في يده اليمنى وكتابة "حرسى" في يده اليسرى، مثلما كانت تفعل الروم بحرسها⁴، وقام أيضا باستبداد البربر وفرض عليهم الجزية، واستخف بهم وقام بسبي نسائهم، فكان ظلوما في حكمه ولذلك اتفقوا على قتله ونجحوا في ذلك بعد شهر من ولايته⁵ وجاء بعده بشر بن صفوان (103-109)، الذي عينه الخليفة يزيد بن عبد الملك، الذي عمل على إزالة النقمة على السلطة المركزية فاتبع سياسة المساواة بين العرب والبربر، وبذلك عاد الأمن والسكينة لربوع البلاد⁶، وبأمر من الخليفة

¹ - ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص 48.

² - الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقيا والمغرب، دار الفرجاني، ط 1، د ب، 1994، ص 152.

³ - عبد العزيز سالم، مرجع سابق ص 206.

⁴ - عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2007، ص 127.

⁵ - عبد الواحد ذنون طه وآخرون، مرجع سابق، ص 130.

⁶ - ابن أبي دينار، مونس الأخبار في تاريخ إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط 1، تونس، 1286 هـ، ص 370.

قام بشر بتتبع قتله الوالي السابق يزيد بن أبي مسلم، فعلم بأن عبد الله بن موسى من أنصاره فقام بالقبض عليهم، ومصادرة أموالهم وحبسهم، ثم أمر بإعدام عبد الله بن موسى بن نصير¹، وتمثلت أهم أعماله في النشاط البحري من خلال عدة حملات وبعثات منها إلى جزر كوريسكا و سردينيا، وأخر حملة كانت بقيادته إلى جزيرة صقلية، ولكنه لم يلبث حتى أن أصيب بمرض أودي بحياته في شوال من سنة 109هـ.

ب /مرحلة الاستقرار: 105-125هـ

بعد فترة الاستقرار التي مر بها المغرب في عصر الولاة، شهد كذلك حالة من اضطرابات وتمردات التي عرفت بمرحلة الاستقرار والتي تبدأ من(105-125)، وكانت بدايتها مع ولاية عبيدة بن عبد الرحمان السلمي، الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك، وكان ذات كفاءة إدارية عالية في ضبط الأمور لكنه كان عنيفا في سياسته حيث قام بتعذيب عمال بشر بن صفوان، فأثقلهم بالضرائب ومصادرة أموالهم، فكان من ضحايا سياسته التعسفية عامل بشر بن صفوان، على الأندلس أبو الخطار حسام ابن ضرار الكلبي²، أما عن أهم أعماله فتمثلت في النشاط البحري، حيث أعد حملة بحرية سنة 110هـ قادها عثمان بن أبو عبيدة الفهري في جزيرة صقلية حتى وصل إلى عاصمتها سرقوسة وقد كانت كذلك حملات أخرى خاصة في سنة 111-112-114هـ، وقبل مغادرة ولايته قام بتعيين أحد أصحابه وهو عقبة بن قدامه على ولايته بإفريقيا والمغرب، وكان هذا الأخير كذلك شديد في معاملته للبربر فقام بغزو قبائلهم وسي نساءهم³

¹ -عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص129.

² -عبد الواحد ذنون طه وآخرون، مرجع سابق، ص131- 132.

³ - عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مرجع سابق ، ص132 .

وفي سنة 116هـ تولى عبدة الله بن الحبحاب ولاية المغرب وقيل هذا تقلد مناصب في إدارة الدولة، فبدأ عهده كاتباً ثم عامل خراج مصر وذلك في سنة 109هـ ثم والياً عليها وبذلك أهلته كفاءته للفت نظر الخليفة ليقبله الولاية على المغرب¹، وبذلك عين ابنه القاسم على مصر وعلى الأندلس عقبه بن الحجاج وعلى طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه إسماعيل ثم عمر بن عبد الله المرادي²، ومن أهم أعماله قام بتجديد دار الصناعة في إفريقية واهتم كذلك بالعمران حيث قام ببناء مسجد الزيتونة وشهدت مدة ولايته عدة حملات على صقلية (117-118-119هـ)، أما آخر حملة فكانت مشهورة وهي في سنة 122هـ بقيادة حبيب بن عبده القهري وولده عبد الرحمان، حيث تمكن من التوغل في جزيرة صقلية وعاصمتها سرقوسة، حيث أجبر أهلها بدفع جزية سنوية³، فشهدت ولايته ظهور ثورات وتمردات للخوارج بسبب تعامل عمر بن عبد الله المرادي الذي أراد تخميس البربر، الأمر الذي لم يرتكبه عامل قبله، حيث كان هذا الأمر يقوم على من لم يجب الإسلام، فتعتبر أول فتنة كانت في المغرب الإسلامي، والتي تمثلت في خروج ميسرة المدغري على عمر بن عبد الله المرادي حيث تمكن من قتله⁴، ثم تولى بعده كلثوم ابن عياض القشيري من 123-124هـ، الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك بعد هزيمة العرب في موقعه "الأشراف"، حيث غضب الخليفة غضباً شديداً فقال: << لا أعضين للعرب غضبة وأسير جيشا يكون أوله عندهم وآخره عندي >>، بقيادة كلثوم ابن عياض⁵، وخرج معه أهل مصر وأهل برقة وطرابلس، ودخلت هذه القوات المغرب الإسلامي في شهر رمضان

¹- ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 39.

²- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 134.

³- ابن أبي دينار المونس في تاريخ إفريقيا وتونس، مصدر سابق، ص 41.

⁴- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي مرجع سابق، ص 134.

⁵- الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص 54.

سنة 162هـ، لكن الأمور لم تسير وفق الخطة المرسومة وذلك نتيجة الأخطاء التي اقترفها¹ كلثوم ونوابه، فقد طلب نائبه وابن أخيه بلج بن بشر القشيري من أهل المغرب بأن لا يغلقوا أبوابهم حتى يعرف أهل الشام منازلهم، مع كلام يغيظهم فيه²،

فبعث حبيب ابن أبي عبده الفهري برسالة قاسية إلى كلثوم يشكوا صنيع ابن أخيه بأهل البلاد، ورغم اعتذار كلثوم منه لكن بقيت الأمور مضطربة³، فوقع تصادم بينهم وبين البربر فقتل كلثوم ابن عياض ومعظم قادة الجيش⁴.

ج /مرحلة السقوط:

وكانت بداية هذه المرحلة مع الوالي حنظله بن صفوان الكلبي(124-127)، الذي عينه الخليفة هشام بن عبد الملك على إفريقية والمغرب ، بعدما كان والي على مصر عندما علم بمقتل كلثوم ابن عياض⁵ واستقر في القيروان واستعد لمواجهة المتمردين الذين كانوا على مجموعتين الأولى بقيادة عكاشة ابن العرب الفراري والثاني بقيادة عبد الواحد ابن يزيد الهواري⁶، وكانت جموعهم كبيرة لذلك رأى حنظله بمواجهة قوات عكاشة قبل اجتماعها مع قوات عبد الواحد والتقى مع قوات عكاشة بالقرن، وانتهت المعركة بهزيمة عكاشة⁷، ثم استعد لمواجهة عبد الواحد الهواري ودارت بينهم معركة شديدة في موقع الأصنام وتمكن حنظله

¹-ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق ، ص51.

²-عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مرجع سابق،، ص139.

³-علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص363.

⁴-الرقيق القيرواني، مصدر سابق ، ص65.

⁵-عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص142.

⁶-عبد الواحد ذنون طه وآخرون، مرجع سابق، ص143.

⁷-ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق ، ص58.

من انتزاع النصر بعد تدمير معظم قوات الصفرية ومقتل عبد الواحد الهواري، وبعد هذه الانتصارات التي حققها حنظله خرج لإصلاح ما أفسده المتمردون ونظم إدارة البلاد.¹

ثم تولى عبد الرحمان بن حبيب الفهري من (127-132هـ) قدم من افريقية بعدما هرب إلى الأندلس عند هزيمة كلثوم بن عياض في واقعة بقدورة²، فقام بنشر الدعايات على نفسه لذلك التف حوله الكثير من المؤيدين، وبذلك تمكن من طرد حنظله بن صفوان³، وكان عبد الرحمان يتمتع بشعبية كبيرة في المغرب بسبب الصمعة الطيبة التي تركها عقبة ابن نافع وأراد أصحاب حنظله قتل عبد الرحمان، لكن حنظله كان رجلاً ورعاً تقياً أراد حقن الدماء بين المسلمين، فوصل عبد الرحمان إلى القيروان وأمر أهلها بأن لا يخرج أحد مع حنظله وان لا يؤيده أحد فطبق الناس ذلك خوفاً من عبد الرحمان.⁴

¹- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1987، ج 4، ص 472.

²- الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص 82.

³- عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص 145.

⁴- ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص 60.

الفصل الثاني: التصادم العربي البربري وبداية الصراع

المبحث الأول : تفشي الروح العصبية بين القبائل العربية

المبحث الثاني : الممارسات السلبية للإدارة الأموية في بلاد المغرب

المبحث الثالث : انتشار المذهب الخارجي (الإباضي والصفري)

المبحث الرابع : أهم الثورات

اتسم عصر الولاة في بلاد المغرب بأربعة مظاهر كبرى وهي : تفشي الروح العصبية بين القبائل العربية، وظهور ممارسات سلبية للسياسة الأموية وإدارتها في بلاد المغرب، وأيضاً انتشار المذهب الخارجي (الصفري والاباضي) بين القبائل المغربية، كذلك اندلاع الثورات والانتفاضات الشعبية المغربية المسلحة. وقد تداخلت هذه المظاهر والمعالم وتشابكت أحداثها وتياراتها، حتى أصبح عصر الولاة في بلاد المغرب أصعب من حيث دراسته وتطوره لما ساد من فوضى اجتماعية واضطرابات سياسية وتناقضات قبلية وعنصرية و حروب أهلية.¹

المبحث الأول: تفشي الروح العصبية بين القبائل:

يعود السبب الرئيسي في انتشار مثل هذا المظهر وتفاقم أحداثه في العالم الإسلامي بصفة عامة وبلاد المغرب والأندلس على وجه الخصوص إلى السياسة التي اتبعها بعض خلفاء بني أمية مع رعية الأنصار المفتوحة، والسلوك الذي انتهجوه مع القبائل العربية وتفضيل بعضها على بعض، وهي السياسة القائمة على محاذاة العنصر العربي، على حساب العناصر المسلمة الأخرى، الفرس والروم والقبط والبربر والقوط وغيرها، من العناصر التي تمكن الإسلام من قبلها ووجدانها، بل اعتبروا بنو أمية وولاتهم هذه العناصر في حكم الموالي، وفي هذا الأمر يشير أحد الباحثين المعاصرين بقوله: >> إن علاقة العرب... بالشعوب التي خضعت لهم كانت منذ بدايتها ثمرات نظام الفتوح، الذي جعل منهم طبقة عسكرية متفرعة... أدى إلى تأسيس الجيش منذ الثورة ضد عثمان بن عفان... ومن خلال هذه المعادلة كان دخول المولى في الإسلام دخول التابع وليس الشريك.<<²، بعبارة أخرى أريد بكلمة <<مولى>> التبعية والإلحاقية أي إلحاقية الشعوب، غير العربية التي دخلت الإسلام في الدولة الأموية، وقد ترتب على هذه السياسة طبقتين متميزتين:

¹ - عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى، مرجع سابق، ص 21.

² - إبراهيم بيضون، الدولة الأموية والمعارضة، مدخل في كتاب السيطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فلوتن، دار الحدائق، د ط، د ب 1980، ص 16.

الطبقة الأولى: وهي الطبقة "الأرستقراطية" العربية الحاكمة التي تتربع على قمة هرم المجتمع الإسلامي وتتصدره.

الطبقة الثانية: وهي الشريحة المستضعفة التي تتشكل من الموالي، ومن أهم الأمصار المفتوحة، وعلى الرغم من إسلامهم إلا أنهم ظلوا مندرجين في الطبقة المحرومة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.¹ ومن المعلوم أن المجتمع الإسلامي المغربي كان يتألف من أهل المغرب (البربر) وهم أغلبية ومن الأفارقة وهم بقايا الفينيقيين وغيرهم ومن العرب الذين قدموا من بلاد المشرق حاملين راية الإسلام مثل عقبة بن نافع القهري، وأبو المهاجر بن دينار، الذين استوطنوا ببلاد المغرب واستقروا فيه وتكونت شريحة اجتماعية مميزة من العرب تصدرت الهرم الاجتماعي.²

ويمكن أن نشير إلى أن السلطة المركزية بالمدينة أخذت تنح نحو التيار القبلي، وخاصة في السنوات الأخيرة من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد ظهر ذلك جليا أثناء الفتنة الكبرى، حيث كان علي ابن أبي طالب يمثل الاتجاه الإسلامي ومعاوية ابن أبي سفيان يمثل التيار القبلي، فانتصر الاتجاه الثاني على الأول. وقد زاد في تفاقم الأوضاع، وتصاعد السياسة التي انتهجها معظم خلفاء بني أمية الذين جاؤوا بعد معاوية، في التمييز بين القبائل العربية نفسها ولاسيما في عهدي الخليفين يزيد بن عبد الملك (101-105هـ)، (720م-759م) وأخيه هشام بن عبد الملك (105-125هـ)، (724-743م) فقد كان هذان الخليفان أشد الأمويين إغراقا وإسرافا في العصبية القبلية، وفي عهدهما ظهر التصرع والانقسام في البيت الأموي.³

¹ - إبراهيم بيضون، مرجع سابق، ص 17.

² - عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى لعصر الولاة، مرجع سابق، ص 23.

³ - حسين مؤنس، ثورات البربر في افريقية والأندلس بين سنتي 102-136هـ، مجلة كلية الآداب، مج 10، د ط، القاهرة، 1948، ج 1، ص 149.

وكانت عند العرب ظاهرة مميزة، وهي الاحتفاظ بالنسب و التقيد به، وهي سمة من سمات فخرهم واعتزازهم، إذ جرت العادة عندهم أن يعيدوا كل قبيلة إلى أصولها أي إلى الأب الأول أو الجد الأول¹، فقد كان الصراع شديدا بين عرب الشمال وعرب الجنوب والتنافس كبيرا والعداوة ضارية جذورها في القدم، من أجل العيش والهيمنة على التجارة والتموقع والسيادة، تدفعهم للعصبية القبلية في المفتشية في الجزيرة العربية في العهد الجاهلي، وكانت الحروب سجلا بينهما إلى أن أخذتها الدعوة الإسلامية الجديدة في عهدي الرسول(ص) والخلفاء الراشدين، فبظهور الإسلام نسيت الجماعتان اليمنية والمصرية أحقادهما ووحدت صفوفهما من أجل نشر الإسلام والجهاد في سبيله، وسادت بذلك عصبية العقيدة بين المسلمين بدلا من عصبية القبلية، والظاهر أن الفريقين الجديدين استجابا لنداء العقيدة الجديدة، وأصبحا في صف واحد هدفهم الجهاد في سبيلها، و لأنها تدعو إلى الإخاء بين المسلمين وتجعل منهم أمة واحدة، لكن فيها يبدو كان هذا التضامن لفترة قصيرة بانتهاء عهد الرسول(ص) والخلفاء الراشدين، ثم عادت الأحقاد والطعائن للنفوس بعد الاستقرار والاستيطان في الأمصار المفتوحة، فقد نزلت قبائل اليمن ببلاد الشام، وقبائل مصر حطت رحالها بالعراق في عهد الخلفيين الراشدين أبي بكر وعمر بن الخطاب²، ولما انتقلت إلى البيت الأموي أنظمت الجماعتان في بداية الأمر لمؤازرة معاوية ومناصرتة بفضل السياسة البارعة التي انتهجها³. فالبرغم من استطاعة معاوية من فرض طاعته و ولائه على الجماعتين فإن خلفاءه أخفقوا في ذلك بسياستهما التي تقوم على العصبية القبلية، وتارة بميلات إلى اليمنية القحطانية، وتارة إلى العدنانية المغربية فأتاروا بذلك مشكلة عويصة جدا لأنهم أحيوا العصبية القديمة، ولكن على نطاق الدولة الواسع⁴ وانعكاس

¹ - دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، تر: حسن حبشي، مر: جمال محرز وأحمد مختار العبادي، دار المعارف لمصر، د ط، القاهرة مصر، 1963، صص 78-80.

² - الطبري، تاريخ الرسل الملوك، تح: أبو الفضل إبراهيمي، دار المعارف، د ط، القاهرة مصر، 1964، ج 4، صص 204.

³ - الدوزي، مصدر سابق، صص 78-80.

⁴ - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، صص 70.

آثار هذه السياسة على الدولة الإسلامية في مشرقها ومغربها، وقام التزاع بين القبائل العربية وكثرت الخصومات بينهم.¹

وإذا كان الأمويون قد نجحوا نوعاً ما في سياستهم هذه في بلاد المشرق، واستطاعوا أن يحصروا الصراع القبلي، ويوجهونه حسب مصالحهم وأهدافهم فالموقف يختلف في بناء المغرب والأندلس عن بلاد المشرق، فإنه عندما انتقلت القيسية والكلبية وحطت رحالها في بلاد المغرب حملتا معها أحقادهما وعصبيتهما القديمة والدقينة وزادا التنافس بينهما من أجل الاستلاء على السلطة، والاستحواذ عليها، والسيطرة على المناصب الوظيفية السامية في الدولة، والتقرب من الخلفاء والأمراء، والظاهر أنه لم تشقى منطقة في العالم الإسلامي مثلما شقى بلاد المغرب والأندلس، لأن الصراع فيه كان أشد وأقسى وأعنف،² بحيث شجع خلفاء بني أمية هذه التزاعات ودعموها بتعيين الولاة من القيسية تارة ومن الكلبية تارة أخرى وكان كل من تولى إمارة المغرب والأندلس يتكل بالفرع الآخر، ويبالغ في إهانتته ومتابعته واضطهاده³، والظاهر أن النفوذ اليمينية كان هو السائد في أول الأمر في عهد موسى ابن نصير، الذي فضل اليمينية وقرهم إليه، ولم يلبث أن ظهر نجم القيسية في عهد ولاية محمد بن يزيد القرشي (97-98هـ) (715-717م) وعلى الرغم من سيرة الوالي محمد بن يزيد الحسنة مع الرعية، إلا أنه كان متعصبا لقيسته، فلم يتورع عن البطش بأل موسى بن نصير وإهانة اليمينية والتنكيل بهم.⁴

¹ - عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى، مرجع سابق، ص 30-31.

² - حسين مؤنس، ثوار البربر، مرجع سابق، ص 150.

³ - عبد العزيز فيلاي، العلاقات السياسية بين الدول الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 1982، ص 09.

⁴ - الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ج 1، ص 47-76.

وحمجىء يزيد ابن أبى مسلم(102-103هـ)(720—721م)على رأس ولاية المغرب والذي كان رجلا قيسيا متعصبا، جافيا، شديد العصبية، والذي اتخذ من سياسة أستاذه الحجاج بن يوسف الثقفي العنيف مذهبا له، وبالغ في تعقب أموال الولاة اليمينيين السابقين تحت شعار "من أبدلك هذا".¹

ولما جاء بشر ابن صفوان الكلبي اليميني (103-109هـ)(721-727م) إستطاع أن يعيد الهدوء والطمأنينة إلى نفوس الرعية السنوات الأولى لولايته، إلا أنه لم يتمكن من الحفاظ على هذا الهدوء والاستقرار طوال عهده ومال إلى القسوة والعنف، وقام بقتل عبد الله بن موسى لإتهامه بالتحريض على مقتل "يزيد بن أبى مسلم"، ثم عادت الإدارة في بلاد المغرب إلى أيدي القيسية بعد وفاة "بشر بن صفوان" شددوا في الخناق على الكلبيية وضيقوا عليهم خاصة في عهد الوالي عبيدة بن عبد الرحمان السلمى(110-114هـ)(728-738م)، فأخذ ينتقم لعشيرته وقومه بتعذيب عمال بشر بن صفوان وأصحابه²، وكان شديد الوطأة على كل من ينتمي إلى اليمينية، كما أساء إلى القبائل المغربية بغزو أقاليمهم، وسبي نسائهم وجمع أموالهم وجعلها دار حرب.³

وفي هذا المجال فقد بقيت هذه الظاهرة على حالها المألوف حتى في عهد الوالي عبد الرحمان بن حبيب القهري، الذي استولى على إفريقية سنة(127هـ،744م) واستمرت من بعده استمرار عصر الولاة، سواء كان ذلك في عهد بنى أمية أو بنى العباس، حيث ظلت العصبية القبلية قائمة في كلا العهدين.⁴

¹ - ابن أبى دينار، مصدر سابق، ص36.

² - ابن الآبار، الحلة السبراء، تح : حسين مؤنس، د ط، القاهرة، 1963، ج 1، ص 66.

³ - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامى، دار القومية للطباعة والنشر، د ط، الإسكندرية مصر، 1966، ج2، ص311.

⁴ - عبد العزيز فيلالى، المظاهر الكبرى، مرجع سابق، ص35.

المبحث الثاني: الممارسات السلبية للإدارة الأموية في بلاد المغرب:

لم يكتفي بعض الولاة في المغرب الإسلامي بإظهاد خصومهم من الحبي العربي بل يتورعوا عن الإساءة إلى أهل المغرب وخصوصا بعد انتهاء عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز(99-101هـ)(718-720م) الذي سلك سياسة إصلاحه في كافة المجالات.¹

لكن عهد هذا الإصلاح لم يستمر طويلا، فب وفاة عمر عادت الإدارة الأموية إلى سياسة الاستبداد، بأهل الأمصار المفتوحة عن طريق الولاة والعمال والجبابة، حيث كان الولاة يتمتعون بنفوذ كبير وصلاحيات واسعة في الأقاليم التي يحكمونها، فهم المسئولون عن الشؤون العسكرية والسياسية والمالية والدينية، وكانوا بذلك يقومون بتعيين عمال المناطق والأقاليم التابعة لولايتهم، وكذلك قادة الجيش وضباطه في الولاية، ولم يقد خلفاء بني أمية بفصل مناصب الولاية في بلاد المغرب عن بعضها بل ركزوها في يد الوالي، الممثل الشخصي الشرعي للخليفة في الإقليم، فهو القائد العام للجيش وإمام الصلاة والقائم بأعمال الخراج، بينما نراهم قد فصلوا هاته الوظائف عن بعضها البعض في الديار المصرية، وعينوا على رأس كل وظيفة عاملا عليها.²

تعتمد الدولة الأموية في سياستها المالية على تنظيم سياسي عسكري وإداري محكم، قاعدته سلطة الولاة، وكان الخلفاء يحرصون على اختيارهم لولاة المغرب، بحيث ينتقونهم من كبار القادة والموظفين السياسيين، وهذا يدل على أهمية الجناح الأيسر للدولة الإسلامية من الناحية الإستراتيجية، والاقتصادي، والبشرية، ولأنه يعتبر من الولايات الحساسة في الدولة، ويطل على البحر الأبيض المتوسط بشواطئه الطويلة ويتحكم فيها.³

¹ - دوزي، مرجع سابق، ص174.

² - موسى لقبال، مرجع سابق، صص142-144.

³ - الجنحاني الحبيب، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، د ط، بيروت لبنان، 1980، صص09-13

وقد ظهرت مساوئ هذه الإدارة أول الأمر، في المغرب الإسلامي على يد الوالي يزيد بن أبي مسلم (102-103هـ) (720-721م)، الذي أراد أن يطبق التقليد البيزنطي الذي يميز الحرس على بقية الناس، فعزم على وشم اسم الرجل على يده اليمنى وصفته كحرسى على يده اليسرى حتى يتميز عن بقية الجند والرعية، ولكن جند الحرس الذين كانوا ينتمون إلى قبائل البتر المغربية رفضوا هذا الإجراء واعتبروه استخفافاً بهم ورأوا بعيداً عن تعاليم الإسلام وتقاليد ومبادئه، فثاروا على الوالي يزيد المظلوم الغشوم وقتلوه على عتبة المسجد.¹

فبهذه السياسة الذي ارتكب فيها بنو أمية أخطاءً فادحة، تضرر من خلالها أهل المغرب تضرراً مادياً ومعنوياً، جعلهم يلجئون في الآخر إلى السيف والثورة لإثبات وجودهم ورد الاعتبار.

ولما تولى عبید الله بن الحبحاب ولاية المغرب والأندلس سنة (116هـ، 734م) فرض هو الآخر الجزية على من أسلموا من أهل المغرب مثلما ما فرضها الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، ويزيد بن أبي مسلم على أهل الديار المغربية حتى لا تنقص موارد الدولة.²

والظاهر بأن عبید الله بن الحبحاب بدأ سياسته في الولاية بداية حسنة، إلا أنه لم يستطع أن يستمر في النهج والسياسة في بلاد المغرب التي انتهجها في مصر لاختلاف طبائع الرعية ونزعاتهم وميولهم السياسية، والمذهبية من جهة أو لجهله بنفوس أهل المغرب، فلم يتمكن من تهدئة النفوس التي امتلأت حقداً على بني أمية وتجاوزاتهم، لأن المغرب كان يمر بفترة سياسية نتيجة الظروف السابقة،³ فضلاً عن الحملات العسكرية

¹ - الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص 99.

² - ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص 52.

³ - حسين مؤنس، ثورات البربر، مرجع سابق، ص 161.

التي كان يبعث بها الولاة إلى القبائل المغربية لإخضاعها لأن بعض الولاة لا يزالون يعتبرونها دار حرب بالرغم من إسلام هذه القبائل لجلب الغنائم، كما فعل الوالي عبيدة بن عبد الرحمان السلمي من قبل.¹ وقد حذا حذوه عبيدة الله بن الحبحاب، الذي أطلق العنان لقيسته وصب جميع غضبه وحقده على اليمينية، وأنتقل كواهل المغرب وقبائله بغزو ومصادرة الأموال حتى يشبع حشعه، ويرضى الخلفاء بما يقدمه لهم من هدايا ثمينة وسبايا جميلة أغضبت تصرف بعض الرعية وأحدث هوة عميقة بين الطبقتين أدت إلى انعدام الثقة بين الطرفين، ولاسيما من الطبقة المحكومة التي تدمرت تدمرا كبيرا، لأن السياسة خلفت فروقا اجتماعية كبيرة، ووسعت دائرة الخلاف بينهما، وقد ساعدت على ذلك انتشار الأفكار الخارجية (الصفيرية والإباضية) المحرضة على الثورة، فامتألت الصدور والنفوس غيظا، لأن أهل المغرب أصبحوا يشعرون بأنهم مضطهدون في بلادهم، ومحرمون من أبسط حقوقهم في العيش الهادئ الكريم، رغم اعتناقهم للعقيدة الإسلامية.²

فقد زاد الطين بله إفساح عبيد الله المجال أمام أبنائه وأعوانه، وإطلاق أيديهم في بلاد المغرب، ولاسيما عامله على طنجة الذي اشتهر بالجهل المطبق وبأحوال البلاد، وبطباع أهله، وهكذا عامل بعض الولاة أهل المغرب أو استبدوا بهم وأطاقوهم ألوان الضيق والتعسف، وهي معاملة السيد للمسود.³ والظاهر أن الخلفاء كانوا يدفعون بمؤلاء الولاة إلى هذا التصرف، ويكرهونهم على هذا السلوك وهو امتصاص دم الرعايا وإثقال كواهلهم، وإرهاقهم بهذه السياسة الجائرة.⁴

¹ - ابن الأبار، مصدر سابق، ص 67.

² - إبراهيم بيضون، مرجع سابق، ص 107.

³ - البلاذري، فتوح البلدان، نش: صلاح المنجد، د ط، القاهرة مصر، 1956، ص 132.

⁴ - فلهوزن يوليوس، تاريخ الدولة العربية مع ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، د ط، القاهرة،

1958، ص 13.

إذا فسوء المعاملة وكثرة المطالب التي أثقلت كواهل أهل المغرب، هي الجدار الصلب والصخرة القوية التي تحطمت على فكرة العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس، إذ كان أهل الديار المغربية يتقون للمعاملة¹ الطبية ولم يلبث أن فقد كثير من أهل المغرب ثقتهم بالولاة وأصبحوا يشعرون بمساوئ الدولة الأموية وسياستها لأنه لم يكن من السهل على بني أمية التحرر من عقليتهم التجارية القديمة والتخلص منها ونزعتهم الشديدة للربح والاكْتساب، وانعكست سياستهم المالية على الرعية فجلبت لهم الفشل في التعامل مع أهل الأمصار المفتوحة و تورطوا في ذلك بجملة من الأخطاء و الممارسات السلبية ولم يكن لهم أي اهتمام فيما يبدوا أو جدية في قضايا المغرب الإسلامي في هذه الفترة لأن اهتمامهم كان منحصرًا في مزيد من المال بتطويع المعارضين وضرب المناوئين ومد الرقعة الجغرافية الإسلامية شرقًا وغربًا.²

¹ - حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، د ط، القاهرة مصر ، 1957، ص10.

² - إبراهيم بيضون، مرجع سابق، ص 12.

المبحث الثالث: انتشار المذهب الخارجي (الصفيرية الإباضية) بين المغاربة :

ظهرت النواة الأولى للمذهب الخارجي في صفين احتجاجا على مبدأ التحكيم بين معاوية وعلي بن أبي طالب، ثم تطورت أفكار الخوارج ونظرياتهم وتحليلاتهم للأمور الدينية و الدنيوية إلى أن شملت الثورة، العقيدة والإمامة، التي تنص على ضرورة اختيار الخليفة عن طريق الشورى والجماعة، و نادوا بحق الأمة في خلع إمامها إذا جار وانحرف عن جماعة المسلمين.¹

استغل الخوارج الذين استقروا في بلاد المغرب تدمر الرعية جراء التجاوزات الدولة الأموية، فانتشروا في مختلف الأقاليم، دعاة ومعلمين بين القبائل، ويسيطون تعاليم الدين الإسلامي، حسب ما يتماشى مع مبادئهم المذهبية والدينية و السياسية، تحت شعار (الإصلاح)، والدعوة إلى العمل لكتاب الله وسنة رسوله، كما وجد المغاربة، أن دعوة الخوارج تتلائم أفكارها وطبيعتها وأهدافها، مع طبيعة عقليتهم، ونزعاتهم " الجمهورية" و " الثورية" و " الديمقراطية" وآمالهم في الخلاص من تسلط الولاة، بعد أن أدركوا مدى التناقض الواضع بين سياسة الإدارة الأموية و دعوة الإسلام للعدل والمساواة، (لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى) وليس من الضرورة أن يكون الحاكم من قبيلة قريش، بل يكفي أن يكون فاضلا تقيا، عالما، صالحا، يحكم طبق لما جاء به القرآن والسنة النبوية، فاعتبروا الخلافة حقا لكل مسلم مهما كان وضعه الاجتماعي والاقتصادي سواء أكان من أعيان القوم وكبارهم أو من أدنى طبقات المجتمع وصغاره، وسواء كان من أقطاب قريش أو من أدنى الأحياب.²

وقد اختار الخوارج الوقت المناسب وهو انشغال الدولة الأموية بالخصومات القائمة بين العصبيتين (اليمنية والمضرية) وبثورة المعارضين في مختلف الأقاليم وانشغال الولاة بهذه المنازعات وتمركزوا بين هذه القبائل

¹ - عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى، مرجع سابق، ص 31.

² - محمود إسماعيل، قضايا في التاريخ الإسلامي، دار العودة، د ط، بيروت لبنان، 1974، ص 146.

المغربية وتغلغلوا داخلها ولاسيما، التي كانت تقطن الأماكن النائية من مقر السلطة واختيار القبائل التي لها وزن كبير في المنطقة التي كانت أكثر استعداد للثورة وهي قبائل كل من غمارة وبرغواطة ومكناسة ومدغرة وزناتة وهوارة وغيرها.¹

وكيفما كان الحال فقد ظل أهل المغرب مدة طويلة من الزمن ينتظرون الإصلاح والتغيير ويرجونه صابرين عما أصابهم، طائعين للأئمة وأولى الأمر، رغم تحريض الخوارج، ومحاولاتهم الجادة في إقناع سكان المغرب بأن سوء تصرف الولاة إنما هو رمز لسوء تصرف الخلفاء في دمشق.

وبالرغم من ذلك فقد اثر المغاربة الاتصال بالخليفة نفسه، لاستطلاع رأيه في تصرفات الولاة، وإطلاعه على ما نال الرعية منهم، ومعرفة وجهة نظره للانتهاكات التي يرتكبها عماله وولاته بين الحين والآخر، فشكّلوا بعضا من الشيوخ المغربية ووجهائها بلغ عددهم أكثر من عشرين شيخا برئاسة "ميسرة المدغري"، زعيم قبيلة مدغرة،* ولعل زعيم مدغرة كان واسع المعارف مطلعاً على الثقافة الدينية التي تمكن من الحصول عليها²، كما كان قوي الشخصية وعلى جانب كبير من الذكاء والدهاء السياسي والحنكة الدبلوماسية والثقافة الواسعة، جعلته يمسك بزمام الأمور ويقوم بعمل ثوري ضد السلطة المركزية في بلاد المغرب، ففي ظل الوضع الذي ساد بلاد المغرب خلال هذه الفترة وسياسة بعض الولاة مع الرعية، وكيف كان يعامل المجاهد المغربي، المقاتل في ساحة القتال حيث كان يعامل معاملة من الدرجة الثانية بين إخوانه في الدين والجهاد³، قاد ميسرة الوفد إلى حاضرة الخلافة الأموية، إلا أنهم لم يتمكنوا من مقابلة الخليفة، فقد حال دون ذلك كاتبه أو حاجبه "الأبرش"، إذ منعهم من الدخول، عند ذلك دار حوار بينه وبينهم، وتركوا له

¹ - محمد بن حسين، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، د ط، د س، ص 83.

* - كانت قبيلة مطغرة تسكن قرب الشاطئ الشرقي لمصب نهر ملوية، وقد اشتهرت بمعاملتها التجارية، وموقعها الجغرافي الهام، حيث تلتقي القوافل البرية التجارية القادمة من وجدة ومن الصحراء ومن بلاد السودان، وبالأساطيل التجارية في الموانئ التجارية في المغربين الأوسط والأقصى القادمة من مختلف دول أوروبا والشرق.

² - محمد بن حسين، مرجع سابق، ص 84.

³ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 23.

شكوى من عدة نقاط، يقدمها للخليفة وسجلوا أسمائهم وألقابهم في عارضة، ليطلع عليها الخليفة هشام ذاته.¹

ويتضح مما سبق أن ولاية الخليفة، كانوا ينصفون الرعية من أهل المغرب، ولا يطبقون مبدأ العدالة والمساواة حتى بين أفراد الجيش الواحد، فقد ميزوا أنفسهم وإخوانهم من أهل المشرق، عن أهل المغرب مما جعل هذين الأخيرين يعتبرون هذه التصرفات عبارة عن تفرقة عنصرية، بين الأخوة في الدين والجهاد، ورأوا في ذلك خروجاً سافراً عما جاء به الإسلام، من عدالة اجتماعية وعمما يستحقه المقاتل من غنائم، وغيرها من الأسلاب أثناء الغزوات، ولعل الذي أثار حفيظتهم وأهدر كرامتهم هو معاملة الولاة لنساء أهل المغرب وبناتهم، على أنهم سبايا وهن مسلمات، فأكثروا من طلبهن، وإرسالهن إلى قصور الخلفاء الأمراء.²

¹ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 24.

² - عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى، مرجع سابق، ص 52-53.

المبحث الرابع: اندلاع الثورات في بلاد المغرب

عندما طال المقام الوفد المغربي ، بقيادة ميسرة بدمشق ، ونفذت نفقاتهم ، وفات رجائهم ، في مقابلة الخليفة هشام ابن عبد الملك، عاد الوفد إلى بلاده، وصدره مفعوم محموم بالغضب، يتأجج غيظا وحنقا ونفوسهم تتلظى ثورة على الخليفة وأعوانهم ، وقد تأكد الوفد واقتنع على ان الخليفة موافق على هذه السياسة ويغض الطرف عنها ، بل متواطأ مع الولاة وان هؤلاء لا يعملون إلا بأمر منه ، وفقا لرغباته وميوله وأهوائه وإرادته .

وهكذا تمهأت كل الظروف، وتوفر المناخ السياسي والاجتماعي لقيام ثورة شعبية شاملة مسلحة، بعد أن اختمرت أفكارها واستكملت خيوطها ، وتنوعت عواملها وأسبابها ، واتضح منهجها وتعددت دوافعها بين اقتصادية واجتماعية ودينية و سياسية¹، فهي الحرك الأساسي والفعال لاندلاع شرارة أول ثورة مغربية ، ضد الإدارة الأموية في بلاد المغرب، فقد تداخلت هذه العوامل كلها لتتهيأ الجو وترتب المناخ الملائم لقيام ثورة مسلحة ضد سياسة الخليفة وعماله²

اغتنم ميسرة المدغري فرصة الخروج ، جيش الوالي في مهمة نبيلة إلى جزر البحر الأبيض المتوسط فقام على عامل طنجة فقتله، وهزم جيشه وولى عليها عبد الأعلى بن حريج الإفريقي ، ثم توجه إلى إسماعيل عميد الله بن الحبحاب في السوس الاقصى، فهزم جيشه هزيمة نكراء وقتله، واستولى على هذه النواحي، وأشعل بذلك ثورة خارجية معارضة للخليفة وبلاد المغرب³ وهكذا نجح الثوار في هذه المعركة الخاطفة، التي تعتبر ردا عنيفا وقويا تجاه أخطاء الإدارة المركزية، ولا سيما عن المناطق البعيدة عن السلطة الأموية حيث تقطن الفئات الاجتماعية الريفية على هامش الحياة الاقتصادية والسياسية ، رغم ماتتميز به من هياكل قبلية كبيرة

¹ - محمود اسماعيل ، مرجع سابق، ص122.

² - عبد العزيز فيلاي ، المظاهر الكبرى ، مرجع سابق، ص53.

³ - الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص109.

فكانت انتفاضتهم خاطفة وسريعة ، استطاعوا من خلالها أن يجموا قبضتهم على المنطقة في فترة زمنية محدودة ، وأزالوا مظاهر الحكم الأموي منها، وبرز بذلك اسم ميسرة وأصحابه في الأفق، وعلا نجمهم في سماء المعارضة المسلحة ضد السلطة المركزية المتهمه بالظلم والجور من قبل الثوار¹ وهكذا فان داء هذه الثورة أخذ يستشري شيئا فشيئا ويوما بعد يوم في بلاد المغرب، بحيث شملت معظم مناطق القبائل المغربية الضاربة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، ومن صحراء فزان إلى المغرب الأقصى جنوبا .احتضنها سكان الريف وسكان الحضر من أهل المغرب على حد سواء، ولم تكن الثورة حكرا على قبيلة واحدة دون الأخرى ، بل كانت شاملة انطوى تحتها مجموعة من الخوارج من عرب ومغاربة وفرس وأفارقة ،بحيث انتقل صداها إلى مغاربة الأندلس ، ولم تستطع جيوش ابن الجحباب الإفريقية وجيش عامله عقبة بن الحجاج السلولي الأندلسي أن تحسم الموقف وتقف أمام الزحف الثوري القوي وتقدم الثوار ، بل تلقت هزيمة تلوى الأخرى في احواز طنجة وسوس الأقصى ،وموقعة الأشراف سنة 122هـ-739م، بقيادة ميسرة المدغري الذي تمكن من أن يقلب موازين القوى لصالحه بوادي شلف بالمغرب الأقصى .

وبعد نجاح هذه الثورة أساء ميسرة المدغري السيرة ،وادعى الخلافة ،بعد انتصاراته الباهرة ،فحاد عن الجماعة ،فقتله أصحابه طبقا لمبادئ الخوارج التي تسمح بالتخلص من الإمام،إذا ما انحرف عن الجماعة، وانه قد قرر الانسحاب من المعركة في عملية تكتيكية ،أمام جيش الخلافة في موقعة الأشراف، فأنار هذا التصرف القبائل التي كانت تريد مواصلة القتال²،وربما تكون بعض القبائل المتحالفة مع ميسرة تطمح للخلافة ،وترى نفسها أحق بها،فبعد أن رجحت الكفة لصالح قبيلة زناتة ،اعتلى مقعد الامامة احد شيوخها وهو خالد بن حميد الزناتي بعد اعدام ميسرة المدغري،وقد كان خالد الزناتي يتمتع بشخصية قوية لاتقل صرامة عن شخصية سابقة ،ولاينتقص عنه كراهية للولاة ،فقد غضب هشام بن عبد الملك لهذه الأحداث

¹ - محمد بن حسين، مرجع سابق، ص79.

² - ابن الأبار، مصدر سابق، ص 70.

المرعبة التي رجحت كفة الخوارج- غضبة عربية شهيرة صاح فيها بأعلى صوته : والله لأغضبن عليهم غضبة عربية ، ولابعثن اليهم جيشا اوله عندهم واخره عندي ، ثم لتركت حصنا بربريا إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي او تيمي¹ ، ارسل على اثرها جيشا كبيرا بلغ عدده 30الف مقاتل، 10 آلاف من صلب بنو امية من اهل الشام ، و20 الفا من مختلف فئات العرب عامة من اهل مصر على وجه الخصوص² ،بالاضافة إلى 40مقاتل من المتطوعة وجند إفريقية المرابط بالمغرب الأوسط على جبهة القتال³ ، وكان قائد هذه الحملة هو كلثوم بن عياض القيسي*

ونخبة من قواد الشام وفرسانهم وكان من بين هؤلاء بلج بن بشر القشيري ، وثعلبة بن سلامة العامري ، بالإضافة إلى هيئة استشارية اخرى تتكون من : مغيث الرومي وهارون القرني كضباط اتصال في جيش الحملة فلما دخلت جيوش كلثوم بن عياض إلى افريقية ، نادى بلج بن بشر بأعلى صوته " يأهل إفريقية لا تغلق أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم ، فكتب سكان افريقية إلى زعيمهم بن عبيدة وهو بمدينة تلمسان يرابط على خط المواجهة مع الثوار قائلين لهم : "تواقف عدوا وهذا عدوا قد نزل بنا يريد نزول ديارنا علينا "

تواصلت الرسائل بين الحبيب وكلثوم ولم يلبث وتجدد النزاع بين الشاميين والحجازيين عند وادي الشلف وكادت تدور حرب ضروس بينهما ، لولا ان تدارك بعض الحكماء من الفريقين خطورة الموقف، فعملوا على تصفية الجو ودعم الصف لمحاربة العدو المشترك والمتمثل في الثوار والخوارج⁴ فحدث بذلك تصدع في الجبهة الأموية وخلق انشقاق بين حبيب و كلثوم بن عياض رغم الوفاق الذي حدث بين الجيشين فتقدم

¹ - الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص111.

² - ابن عذارى ،البيان ،مصدر سابق، ص55.

³ - شهاب الدين لمقري، نفع الطيب غصن الأندلس الرطيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، د ط، القاهرة مصر ، 1946،

ج4، ص14.

* ينحدر هذا القائد من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن ،انظر ابن حزم،الجمهرة ،ص288.

⁴ - ابن عذارى ، مصدر سابق ، ص 54.

جيش. الخليفة الشامي الأفريقي نحو الثوار وهو مبعر ينقصه التنظيم ، ويعوزه الانضباط بين عناصره وقواده مع كثرة عدده ، وقد اشير على القائد العام كلثوم بن عياض بأن يقيم خندق حول معسكره، إلا أن بلجم رفض ذلك لأنه كان متهورا مغرورا بقوته ، فاستهان بقوة الثوار وقال لكلثوم " لا تفعل ولا يربعك كثرة هؤلاء فإن أكثرهم عريان اعزل لا سلاح لهم " ¹ فكان هذا الاختلاف سبب هلاكهم فأشتبك مع خوارج الصفرية بقيادة خالد بن حميد الزناتي، خليفة ميسرة المطغري في معركة حاسمة ، ووصف يومها المؤرخون ، بأنه كان يوما مشهودا ، انتهت في الأخير بهزيمة الجيش الأموي هزيمة ساحقة وقتل فيها القائد العام كلثوم بن عياض ، وعدد كبير من ضباطه ومساعديه وجنوده ، وتراجعت فلول من نجى منهم ومن خف حمله الى القيروان بينما عبر آخرون الى بلاد الأندلس ، فارين من سيوف الثوار ²

اما بلج بن بشر القشيري الذي كان يقود نحو 10 آلاف مقاتل من اهل الشام ، فقد انهزم هو الآخر بأصحابه اتلفرسان وجنح نحو الغرب وتحصن بمدينة سبتة واحتمى بأسوارها نحو سنة كاملة ، لأن الخوارج قطعوا عنه خط الرجعة الى عاصمة الولاية ، وقد ظل في هذه المدينة محاصرا حتى ساءت احوال اصحابه وكادو يهلكون جوعا ³ فالهزيمة التي لحقت بجيش كلثوم واصحابه كانت نتيجة سوء القيادة العليا ، الذي ادى الى صراع حاد داخل عناصر الجيش ، حيث شمل القادة والجنود ⁴ .

تعرف هذه المعركة بمعركة بقدورة وهي قرية تقع على نهر سبو من قرب تيهارت راح ضحيتها اكثر من ثلث القوات الأموية ، مثل هذا العدد اسرع وهكذا نجد ان الثورات الخوارج قد تزامنت في بلاد المغرب من شرقه الى غربه ، ولكنها فيما يبدو كان ينقصها التآزر والتكاتف ويعوزها التعاون فيما بينها بالتنسيق

¹ - مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تر: لافونتي دي القنطرة، د ط ، مدريد ، 1867، ص 32.

² - عبد العزيز فيلالي ، العلاقات السياسية، مرجع سابق، ص 19.

³ - بن الأثير الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ص 250.

⁴ - مجاني بوية ، أثر العرب اليمينية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاث الأولى للهجرة ، رسالة الماجستير ، جامعة القاهرة، 1982 ،

بين عناصرها ، بحيث ذهب كل قائد يحارب بمفرده ، وراح كل زعيم يقاتل بفرقته ، معتمدا على اتباعه وامكانته الذاتية ، وهي ظاهرة مورثة وآفة مشاعة بين فرق الخوارج ، الصفرية والأيباضية على حد سواء ، فهذا الأمر ساعد الدولة الأموية ثم الدولة العباسية فيما بعد على المحافظة على بلاد إفريقيا والمغرب تحت نفوذها وظرب الفرق الثائرة بها ، والقضاء على الكثير منها¹

وبالرغم من الانتصارات الجزئية التي حققها زعماء الخوارج في المغرب الأدنى والزاب وهما عكاشة وعبد الواحد اللذان تمكنا من الأستيلاء على قابس وجزء كبير من بلاد الجريد وشرقه ، كان هدفهما محاصرة القيروان ودخولها وطردهامية الخلافة منها وفي نفس الوقت كان الجيش الأموي بين فكي كماشة ، ويتم لها القضاء عليه ، الا انهما لم يستطيعا دخول مدينة القيروان ، واستكمال جهود اخوانهما في المغرب الأقصى فضاعت أحلامهما وتبددت ، وتفرق جيشهما، وخمدت ثوراتهما على اثر الهزائم التي منيا بها ، اما جيش حنظلة بن صفوان القائد الاموي الجديد لبلاد المغرب في معركة "الأصنام و القرن" ، بالقرب من القيروان وقتل كل من عبد الواحد بن يزيد الهواري ، وعكاشة بن أيوب الفزاري الزناتي زعيم الصفرية في إفريقيا سنة 124هـ / 741م²

بهذا الانتصار الباهر استطاع حنظله بن صفوان أن يعيد سيطرة الخلافة ويثبت نفوذها من جديد في الدنيا الإفريقية ، ويقوم بعملية تمشيط واسعة النطاق ، ضد الخوارج في إفريقيا والمغرب الأوسط ، فاستبشر في ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك ، وفرح بذلك الانتصار وهو يجود بأنفاسه الأخيرة في أوائل سنة 125هـ / 743م³ ، ولقد علق احد الائمة وهو الليث بن سعد عن انتصار الجيش الأموي على الخوارج في معركة القرن والأصنام بقوله "من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب الي من غزوة

¹ - الرقيق القيرواني ، مصدر سابق ، ص 119.

² - ابن الأبار ، مصدر سابق، ص 77 .

³ - ابن الاثير ، مصدر سابق ، ص 287.

القرن والأصنام¹ . وقد تمكن حنظلة بن صفوان في 124 - 127 هـ ان يحقق انتصارات هائلة على المعارضة المسلحة ، وان يسترد افريقيا خاصة الى حضيرة الخلافة الاموية ، بعد معارك دامية واقتتال مميت ، غير انه لم يستطيع ان يعيد الهدوء والاستقرار والوحدة الشاملة لبلاد المغرب ، للان جيوب المقاومة ظلت منتشرة في بلاد المغرب وافريقيا ، تظهر من حين الى آخر ، اما المغرب الاقصى فقد سيطرت عليه الفرق الصفرية واسست امارة مستقلة عن الخلافة بزعامة بعض رؤساء القبائل مثل امارة طنجة بقيادة خالد بن حميد الزناتي ، ولقد اتسمت اعمال بني امية واجراءاتهم الادارية في اواخر عهدهم بالجهل المطبق ، بتطور الاوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ، وبتغير ظروف بلاد المغرب وافريقيا وهو الامر الذي ترك باعمالهم تصرفاتهم مع الرعية صدى سيئ الاثر على الاحداث في هذه المنطقة النائية من مقر الخلافة ، فالمغرب الاسلامي اصبح معقلا هاما للاسلام ، فاحتضن بذوره ، وتشبع اهله بقواعده ، حتى اصبح جزءا من كيانه واخلاقه ولكن ولاة الدولة الاموية ضلوا يعاملونهم معاملة السيد للمسود ، على اهم موالى وان بلادهم لاتزال بلاد حرب ، فادت هذه السياسة إلى انشغال بالحرب الاهلية وبالثورات المختلفة والفتن السياسية ، فانقطع الجهاد في جزر البحر الابيض المتوسط منذ سنة 135 هـ / 752 م .

وعجز المسلمون على التصدي لهجمات العدو البنظي ، الذي تجرأ على غزو السواحل الافريقية ومهاجمتها بسفنه الكثيرة في عصر الولاة²

¹-ابن الاثير ، مصدر سابق ، ص 289.

²-عبد العزيز فلالي ، المظاهر الكبرى ، مرجع سابق ، ص 64 .

الفصل الثالث: نتائج الصراع العربي البربري

المبحث الأول: نتائج قريبة المدى (الخوارج)

المبحث الثاني: نتائج بعيدة المدى

أ_ دولة بني مدرار.

ب_ الدولة الرستمية.

ج_ دولة الأغالبة

المبحث الأول: نتائج قريبة المدى

أ_ الخوارج:

الخوارج مفرد خارجي، وهم أتباع أقدم فرقة في الإسلام وقد نشطوا في أواخر عهد علي بن أبي طالب، بداية تولي معاوية الخلافة، نشأة فرقة الخوارج أثناء معركة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وسمي هؤلاء الخوارج الأوائل بالحرورية.¹

ويتميز المذهب الخارجي بسماته السياسية، وإن مزج بصفة دينية، وتدور أصوله حول فكرة الإمامة، ونظرية الحكم في الإسلام، ولقد تباعدت بمرور الوقت الآراء والمعتقدات بينهم، فظهرت اختلافات أساسية في الأفكار المتداولة في أوساطهم، فتوالدت فرقتهم وانشقت صفوفهم فانبثقت بينهم فرق جديدة²، أشهرها: الأزارقة، وهم من غلاة الخوارج، ثم النجدات، ثم الإباضية، أتباع عبد الله بن إباح التميمي، فلم يكونوا متطرفين تجاه المخالفين بمعتقدهم من المسلمين، ثم الصفرية، أصحاب زياد ابن المضر ويقتربون من الإباضية في أحكامهم ومواقفهم.³

وترجع بداية ظهور المذهب الخارجي في بلاد المغرب إلى أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة، وانتقلوا من المشرق بواسطة الخوارج الهاريين من قمع الأمويين بالمشرق، إذ وجدوا في ديار المغرب ملجأ لهم، ولقد انتشر المذهب الخارجي ببلاد المغرب بين الأمازيغ بسرعة، إذ اعتنقه السواد الأعظم منهم، منبهرين بتعاليمه التي تعرف اليوم المساواة والحرية، وقد استفحل هذا المذهب في ظل ثورات الأمازيغ ضد الحكم الأموي، وكانت أولى الثورات هي الثورة التي قادها مسيرة المدغري سنة 122 هـ.⁴

¹ - أحمد بن سعيد الرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، البعث، د ط، قسنطينة الجزائر ، 1974، ص 29.

² - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، د ط ، بيروت لبنان ، 1975، ج1، ص114.

³ - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، د ب ، د س ، ج2 ، ص 56-57.

⁴ - الشهرستاني، مصدر سابق ، ص 138.

ثم أجمعت القبائل الثائرة بعد مقتل ميسرة على إسناد أمرها إلى خالد بن حميد الزناتي ذلك القائد الذي تصدى لجيوش بني أمية.¹

ويبدو أن أولئك الثائرين من أبناء القبائل الأمازيغية لم يصلوا إلى مستوى يؤهلهم للتأمل الدقيق في الجوهر الذي يفصل بين الصفيرية والإباضية، وكل ما كان يشدهم إليهما هو المبدأ الذي يجمعهما.² وهكذا فبواسطة هاتين الفرقتين انتشرت بعد ذلك الثورات الطاحنة عبر بلاد المغرب، كلها ثورات ظاهرها مذهبي وديني، أما مضمونها فيتميز بالعصبية والترعة القبليّة، هذا وقد نتج عن تلك الانتماءات المذهبية قيام دول خارجية مستقلة في أقاصي البلاد، تركز على النظام القبلي والروح المذهبية كدولة برغواطة.

غير أنه من الضروري هنا التذكير بكون الدول الثلاث كان يغلب عليها الطابع القبلي فلقد نشأت هذه الدول عقب الفشل الذي لحق كل من القبائل الصفيرية والإباضية، أمام ولاية إفريقية والمغرب طوال المدة من (124-144هـ)، ونتيجة ذلك الفشل، القبائل الأمازيغية، تحصنوا في المناطق النائية.³

المبحث الثاني : نتائج بعيدة المدى

أ/ دولة مدرار: (المدرارية)

تنسب هذه الدولة إلى مدينة سجلماسة ذات الموقع القريب من مدينة تافيلالت الحالية، ويبدو أن هذه الدولة نشأت قبل تشييد مدينة سجلماسة المنسوبة إليها أصلاً⁴، تأسست في عام (140 هـ 757م)،

1 - عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 33.

2 - دوزي، مصدر سابق، ص 146.

3 - عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، ص ص 223-227-268.

4 - عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة بن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط، دب، 1967، ج 3، ص 965-966.

فقد كانت معيشتهم معيشة بداءة وانتجاع، وكانت تلك الفئات المكناسية المجتمعة صفرية المذهب¹، فقد كانوا من فلول وبقايا الصفرية الثائرين مع مسيرة المدغري وخالد بن حميد الزناتي، وعندما عادوا إلى موطنهم سعوا إلى تأسيس دولة تجمع شتاتهم، وتحافظ على مذهبهم وعند تحقيق ذلك شرعوا في بناء مدينة سجلماسة، ونصبوا عليهم إماما وهو المدعو عيسى بن يزيد بن سعد، المعروف بالأسود، وسرعان ما تنكروا له، فقتلوه شر قتله².

1_ حكومة أبي القاسم سمعون بن واسول المكناسي: وبعد أن قتل الصفرية إمامهم عيسى بن يزيد ولوا عليهم بدلا منه أبي القاسم سمعون بن واسول بن يزطن بن يزول المكناسي وهو الذي حمل قومه على تنصيب عيسى بن يزيد إماما، وقد بقي أبو القاسم في الحكم حتى توفي سنة (168هـ - 784م) وهو الذي أمر ببناء السور الذي يحيط بمزارع النخيل.³

2_ حكومة أبي المنتصر اليسع بن سمعون المكناسي: توفي أبا القاسم خلفه ولده أبو الوزير إلياس، لكن حكمه لم يدم طويلا إذ قام عليه أخوه أبو المنتصر اليسع سنة (174هـ - 790م) وكان يتميز حكمه بشدة الوطأة، ويميل إلى العناد وحدة الطبع، وكان جبار في سلوكه، فتمكن بحزمه وعزمه من فرض الخمس على معادن درعه، وفتك بمن حوله من القبائل الأمازيغية /، ومن أهم إنجازاته، بناء سور سجلماسة، وقسمها إلى أحياء بين القبائل المتواجدة بها.

3_ حكومة مدرار المنتصر بن اليسع المكناسي: بعدما توفي اليسع خلفه ابنه المنتصر الملقب بمدرار، فقد تحول حدث مذهبي في عهد هذا الأمير المكناسي، حيث أضحى مذهب الصفري يميل أكثر⁴ إلى الاعتدال

1 - عبد الله بن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر بلا إفريقية، مكتبة أمريكا والشرق، د ط، د ب، 1967، ص 149.

2 - لسان الدين محمد بن الخطيب، أعمال الإعلام في من بويق قبل الإسلام من ملوك الإسلام، تح: أحمد العبادي، دار الكتاب، د ط، الدار البيضاء المغرب، 1964م، ص 139.

3 - البكري، مصدر سابق، ص 149.

4 - ابن خلدون، مصدر سابق، ص 268.

وبتحديد يميل إلى المذهب الإباضي، وقد دام حكمه كله زهاء خمسة وأربعين سنة، توفي سنة (253هـ—866م).¹

4_ حكومة محمد بن ميمون المكناسي: وبعد موت ميمون بن تقيّة تولى الحكم بعده ولده محمد الذي كان متمذبا بالإباضية توفي محمد بن ميمون سنة 270هـ—(883م).

5_ حكومة اليسع بن مدرار المنتصر المكناسي: وبعد محمد تولى الحكم عمه اليسع بن مدرار المنتصر وقد دام حكم اليسع زهاء سبع وعشرين سنة، وعلى الرغم من طول مدة حكم اليسع إلا أن عصره يكتفه غموض كثيف، توفي في سنة (296هـ—908م).

6_ حكومة واسول الفتح بن ميمون اطمير بن مدرار المكناسي: وقبل أن يخرج عبيد الله المهدي من سجلماسة نصب عليها واليا من قبله وهو إبراهيم بن غالب المزاتي فظل خمسين يوما ثم قتلوه سنة 298هـ—وبعدها نصبوا الفتح بن ميمون وقد كان إباضيا وبقي في سدة الحكم حتى وفاته سنة 300هـ—وبعد وفاته تولى الأمر أخوه أبو العباس أحمد وفي عهد هذا الأخير تغلب على سجلماسة القائد الفاطمي مصالة بن حبوس المكناسي.²

عهد التبعية للفاطميين:

وعلى الرغم من تغلب الفاطميين على سجلماسة، إلا أنه بقيت بدور من العصبية دفينية في صدور ذلك القائد الفاطمي، أسند الحكم إلى رجل من العائلة المالكة المكناسية إذ نصب المعتز بن محمد بن بساور وقد بقي في الحكم حتى توفي سنة 321هـ—³ ثم تلاه ولده محمد بن المعتز الذي بدوره توفي سنة 331هـ—

¹ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 268.

² - ابن خلدون، مصدر سابق، ج3، ص 638، 642.

³ - لسان الدين محمد بن الخطيب، مصدر سابق ص 146.

ثم خلفه المنتصر سمعون، فتولت جدته تدير شؤونه لكن ابن عمه محمد بن الفتح الملقب بالشاكر ثار ضده وأخرجه من سجلماسة سنة 332هـ.

حكومة شاكر محمد بن الفتح المكناسي: انتقل شاكر نقلة مخالفة تماما لما كان عليه أسلافه، لقب بأمر المؤمنين، وأهم نقلة انتقلها هي تخليه عن المذهب الخارجي حيث أخذ المذهب المالكي السني، وقد حبس في رقادة حتى مات في سجلماسة 354هـ.¹

الحضارة والحركة الثقافية:

على الرغم من تميز هذه الدولة من الازدهار الاقتصادي إلا أنها لم تتمكن من تطوير نظمها، إذ عجزت عن التخلص من هيمنة النظام القبلي، ومع هذا لا تخلو هذه الدولة من بعض السمات التي يمكن وصفها في سياق الحركة الحضارية، فمثلا كان لها طابعها العمراني، كما شرع بعض العلماء والأدباء الإباضيين يترددون على سجلماسة بغرض نشر العلم وبث الدعوة الإباضية.²

ب / الدولة الرستمية (دولة بني رستم الإباضية بتيهت والإمارات المجاورة لها):

كان المغرب الأوسط والأقصى يسعيان إلى الاستقلال عن ولاية القيروان منذ مطلع القرن الثاني للهجرة حبا للحرية التي قد تصل إلى الفوضى، فالخوارج بالمشرق يعرفون هذا الميل من البربر بالمغرب وتوجهوا إليه ليتصارعوا مع الأمويين ويقضوا على سلطتهم بعد عجزهم وفشلهم بالمشرق فجاءوا وتوجهوا في مختلف جهاته كالمغرب الأوسط والأقصى وقاموا بحروب لمساندة البربر لهم ولم ينته القرن الثاني حتى أسسوا إمارات مستقلة بالمغرب الأقصى وأشهر هذه الإمارات الإباضية:³

1_ إمارة بني "دمر" كان رئيسها مصادف بن حريتل.

1 - لسان الدين محمد بن الخطيب، مصدر سابق ص 146.

2 - البكري، مصدر سابق، ص ص 149، 150.

3 - مبارك بن محمد المليي، مرجع سابق ص ص 56.

2_ إمارة "هواره" وكان رئيسها بن مسالة الإباضي.

3_ إمارة "بني مسرة" وكان مركز حكمها هو مدينة أزروكي

4_ إمارة بني رستم الكبرى تبيهرت هي أشهر الإمارات الإباضية.¹

نشأة الإمارة:

تنسب هذه الإمارة الرستمية إلى عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي، حيث كان تابع للزعيم الإباضي أبي الخطاب حكم إمام القيروان على عهد أبي جعفر المنصور (131هـ)، فبعث الخليفة جيشاً لمحاربة الخوارج بقيادة أبي الأحوص فتصدى له وهزمه في سنة 141هـ، ثم بعث ثانية القائد الشهير محمد أبي الأشعث سنة 142هـ فزحف إلى القيروان واعترضه أبو الخطاب بطرابلس وهزمه وقتله في 144هـ فوصلت أنباء انهزامه لعبد الرحمن بن رستم وفي ذلك² الوقت كان يقود جيشاً فأحس بالخطر وعاد إلى القيروان ليحتمي بها فامتعت عليه وإذ ذاك التحق بقبائل إباضية على مقربة من تبيهرت فلاحقه ابن الأشعث معتزاً بقوته وحاصره ثم رفع حصاره وعاد إلى القيروان وبعدها أثر ذلك هبط عبد الرحمن بعد أن أقبل أنصاره إلى السهل وأسس مدينة تبيهرت سنة 160هـ وأنشأ بها مقر دولته الرستمية حيث كانت تحدها مملكة الأغالبة شرقاً، الأدارسة شمالاً، والصحراء جنوباً، وأحياناً قد تمتد حدودها ويتسع نفوذها فيصل حكمها إلى طرابلس³ وعند بناء هذه الدولة كان لا بد من إمام يحكمها ويسير أعمالها فاختاروا أربعة أسس هي:

1_ الضمير: ويراد بها العدالة وهي عند الإباضية جماع صفات الكمال الأخلاقي.

2_ العلم إذ أن العلم الكامل بالإسلام وعلومه شرط أساسي من شروط الإمامة عند الإباضية.

¹ - مبارك بن محمد المليبي، مرجع سابق ص ص 56-57.

² - رايح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، ط 3، الجزائر، 2000، ص 27.

³ - مبارك بن محمد المليبي، مرجع سابق، ص ص 52-57.

3_ الوصية ويراد بها إيصاء الإمام القائم بمن يخلفه ولا تكون هذه الوصية فرض ملزما لاتباع وإنما هي توجيه.

4_ ألا يكون الإمام من عصبية تؤيده وكان انتخاب الإمام على هذه الأسس لابد أن يتم على أساس الشورى¹ وكان الأمراء يسمون الأئمة، وهذا اللقب يشير إلى أن الأمير كان حاكما مدنيا وإماما دينيا على مقتضى الخلافة الإسلامية والمعتقد الإباضي لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة ولكن أعيان تيهرت رأوا أن يحصروها في أسرة عبد الرحمن بن رستم حتى لا يحصل تنافس بين القبائل وكان الرستميين لا يعترفون بتبعية سياسة لغيرهم وأشهر الرستميين هم:

- 1_ عبد الرحمن بن رستم (144-168هـ) وهو الأمير والمؤسس لهذه الدولة.
- 2_ عبد الوهاب (168-188هـ) بويع هذا الأمير بعد وفاة أبيه عبد الرحمن.
- 3_ أفلح بن عبد الوهاب (188-238 هـ) كان صاحب نفوذ قوي.
- 4_ أبو بكر بن أفلح (238-241 هـ) بويع من قبل قبيلة نفوسة.
- 5_ أبو اليقضان محمد بن أفلح (241-281 هـ) بويعت له الإمامة بعد خروج أبو بكر بن أفلح.²
- 6_ أبو حاتم يوسف (281-294 هـ) كان كثير المروعة واسع الإحساس ومحبوب لدى العامة.
- 7_ اليقضان بن أبي اليقضان (294-296 هـ) بويع هذا الأمير بعد مقتل أخيه أبي حاتم ولم يتمتع بالملك طويلا.

¹ - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوردجاني، سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 1984، ص 20.

² - عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ط1، الجزائر، 2002، ص 45.

الاقتصاد والتجارة والعمران:

إن إمارة الرستميين إمارة صحراوية والغالب على أهلها الظعن والارتحال، ورعي المواشي والتجارة البرية ولم تكن لهم مراكز تجارة بالبحر وقد اضطرتهم تجارتهم الصحراوية أن يجرسوا الطرق التجارية، فازدهر اقتصادهم وانتشر الرخاء بينهم حتى كانت مدتهم في عمران وخصب وكانت المدينة تموج بالمواشي والخيول، فازدهرت هذه المدينة بما حصون وعمارات وقصور للأمراء الرستميين، ونستفيد أن حضارة الرستميين قد تأثرت بحضارات فارسية وإفريقية ورومانية وفينيقية سابقة.

لقد كان تأسيس مدينة تيهرت سنة 160هـ باعثا للقبائل البربرية والعربية وغيرهما من السكان على تخطيط المدن وتجديد ما اندثر من المدن الرومانية، وأشهر هذه المدن التي أسست في هذا العصر هي مدينة تنس. أنشأها جماعة من الأندلسيين، ومدينة وهران أنشأها البحرليون والأندلسيون، ومدن أخرى أنشئت في هذا العهد كغزة وسوق إبراهيم أوركسي والغدير.¹

نهاية الدولة :

دامت تيهرت في ازدهارها الحضاري تتمتع بالاستقلال السياسي وتتقلب طبقاتها حرية ورخاء رغم ما كان ينتابها من قلاقل سياسية أحيانا إلى أن هاجمها الشيعة وقضوا على دولتها سنة (296هـ - 908م) وقتلوا أميرها الأخير.²

ج/ الأغالبة:

كان قيام دولة الأغالبة في إفريقية، التي كانت تتكون من طرابلس وإفريقية وجزء من المغرب الأوسط هو إقليم الزاب،³ فللمرة الأولى تعهد الخلافة إلى رجل من المغرب في الانفراد بوطية من وطياتها

¹ - عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، صص 120-121.

² - عبد الله الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، دار المصرية، ط1، مصر، 1966، ص 268.

³ - حسين مؤنس، معالم التاريخ، مرجع سابق، ص 95.

ليحكمها حكما شبه مستقل في نظير مبلغ من المال، إلى جانب التعهد بالبقاء على الطاعة والولاء للدولة العباسية، وقد وافقت هذه الأخيرة على أن تجعل الوطية وقفا على أهل بيت ذلك الرجل يتوارثونها فيما بينهم ما داموا على الوطاء الكامل للبيت العباسي، والشرط الوحيد الذي اشترطته الخلافة العباسية من الناحية الغربية، التي وقفت بصورة رسمية عند المجرى الأعلى لنهر الشلف الذي يجري من الجنوب إلى الشمال جنوبي مدينة الجزائر الحالية.¹

فدولة الأغالبة هي أهم دولة، والأغالبة أسرة مستنيرة حكمت إفريقية طول القرن الثالث الهجري، أسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي الذي ثبته الرشيد في وطية إفريقية في سنة 184هـ، وهي أسرة عربية راقية عملت على نشر بذور الحضارة الإسلامية في البلاد التي خضعت لنفوذها أي في إفريقية وصقلية وأقام أمراءها المدن والقصور وشيدوا المساجد والحصون وشجعوا الآداب والعلوم والفنون.

1/ وأول أمراء هذه الدولة هو إبراهيم بن الأغلب (184هـ-196هـ): كان من أفضل ولاة إفريقية، فقد كان يجمع إلى علمه وتفقهه في الدين وأدبه حسن الرأي والنجدة والبأس والقيادة،² فقد حكم إفريقية في ظروف عسيرة، وكان خصومه كثيرين من العرب البلديين الذين لم يوافق أحد منهم على الإقرار له بتلك الرياسة وأعلنوا عليه الحرب ظلت مستمرة طوال العصر الأغلبي الذي دام أكثر من مئة سنة.³

وقد اتجه نظر إبراهيم بن الأغلب من أول الأمر إلى إقامة قوة عسكرية يستطيع الاعتماد عليها إذ أنه لم يكن يستطيع الاعتماد على الجند الخراساني، رغم أنه وفدت منهم ألوف كثيرة إلى إفريقية أيام الأغالبة، ولكن خصومه كانوا يعتمدون أيضا على قوى عسكرية قبلية، كان همهم الأول هو إنشاء قوة

¹ - حسين مؤنس، معالم التاريخ، مرجع سابق، ص 95.

² - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشروق جامعة القاهرة، د ط، د س، ص 122.

³ - حسين مؤنس، معالم التاريخ، مرجع سابق، ص 96.

عسكرية خاصة به بالماء، وقد تكونت تلك القوة العسكرية من عنصرين هما: البربر المستعربة* ثم الصقالبة**¹.

ينقسم تاريخ العصر الأغلي في حملته إلى ثلاث فترات:

أولاً: فترة التأسيس من (184-222هـ/800-838م) وتشتمل على إمارة إبراهيم بن الأغلب وابنيه أبي العباس وزيايد الله.

ثانياً: عصر الازدهار والاستقرار النسبي من (226-288هـ/840-902م) وتمتد نهاية حكم زياد الله بن إبراهيم بن الأغلب إلى نهاية حكم أبي عبد الله محمد الثاني.

ثالثاً: ثم تلا ذلك فترة التدهور، وتستمر من (289-296هـ/902-909م)، ولكن فترة الاستقرار الحقيقية التي يمكن أن تسمى فترة ازدهار للأسرة لم تزد على ثلاثين سنة.²

2/ زياد الله بن الأغلب (201-223هـ/816-838م)، بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب خلفه ابنه أبو العباس، ولم تدم له الإمارة طويلاً فجاء بعده أخوه زياد الله، وكانت مشكلة زياد الله جنده الذي استكثر منهم أبوه إلى درجة زادت عن الحاجة فوجد زياد الله نفسه أمام حشد هائل من الجنود، لا عمل لهم ورواتبهم في زيادة، وتدريبهم في تدهور، فكان لابد له من إيجاد مخرج، وتلك هي المقدمة الأولى لفتح صقلية على أيامه.³

3/ إبراهيم بن أحمد الأغلي (261-289هـ/875-902م): هو تاسع أمراء البيت الأغلي وأطولهم حكماً، مر في حكمه بثلاث فترات، اختلفت فيه شخصيته اختلافاً كبيراً من الاتزان والعدل إلى الاضطراب

¹ - يوسف علي بديوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، 2010، ص ص 67-69

² - ، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مرجع سابق، ص 123.

*- الذين عملوا جنداً مرتزقة في الجيش الأغلي .

** - وهم جنود من أصل أوري كانوا يشترون صغاراً من تجار الرقيق الذين يجلبونهم من أوربة ويربون تربية عربية إسلامية يتخذون بعد ذلك جنداً أو خداماً للدولة في القصور

³ - يوسف علي بديوي، مرجع سابق، ص 60.

العقلي والنفسي، ثم إلى التصوف والانصراف إلى العبادة والجهاد وانتهت حياته مجاهدًا في سبيل الله، فقد كانت السنوات الست الأولى من حكمه سنوات رزانة وعقل وحكم صالح، وقد أكثر إبراهيم بن أحمد من إنشاء القصور أو الأربطة في كل من مدن السواحل، وهو الذي أكمل جامع الزيتونة في تونس واكمل في أيام إبراهيم بن أحمد سلسلة المحارس على الشواطئ فكانوا ينشئون في كل محرس برجًا للنار لإرسال الإشارات، وبعد ذلك أصيب بمرض عصبي.¹

إن العصر الأغلي يمثل فترة انتقال حاسمة في إفريقية، فقد انتقلت إفريقية من بلد مضطرب غير واضح المعالم، ولا محدد التكوين البشري إلى بلد واضح المعالم والسماط، له مدنه الزاهرة، وسكانه الإفريقيون الذين نتجوا عن اختلاط العرب والبربر، ومن كان يفد باستمرار من الخراسانيين الأندلسيين، وظهروا في أواخر القرن الثالث الهجري.²

وهكذا نرى أن الأغلبة قد تركوا بصماتهم في كل مجال من مجالات الحياة، فلقد كان لهم العديد من الميادين الفكرية، وكان لهم أثر كبير في رسوخ مذهب الإمام مالك، وشجعوا الحركة الفقهية، وقاموا بالقضاء على المذاهب الأخرى كالإباضية، والأزارقة والصفيرية، وغيرها من الأفكار والمذاهب الأخرى التي كان لها أثر.³

أهم الإمارات الزناتية:

ظهرت زناتة قبل ظهور الدويلات الرستمية، المدرارية، الأغلبية، الأدارسة كدولة مؤيدة للأمويين ولكن مع ظهور الدولة الفاطمية زالت الزناتة وبقي منها الإمارات التالية⁴ التي سيطر عليها فيما بعد المرابطين: فالإمارات الزناتية هي قبائل مكناسة ومغراوة وبيي يفرن وغيرها، وقد كانت هذه الإمارات

1 - حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 106.

2 - يوسف علي بدوي، مرجع سابق، ص 84.

3 - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مرجع سابق، ص 123.

4 - ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص 281.

الزناقية في نظر بعض المؤرخين ولا سيما بعد زوال أمر بقايا الأدارسة 175هـ هي الشرعية الحاكمة في المغرب الأقصى على اعتبارها دول متنقلة وأهم هذه الإمارات:¹

إمارة مكناسة: قامت هذه الإمارة بالمغرب الأقصى وكانت مواطن أهلها بناحية شول وتازا ثم تدفقت إلى نواحي مكناس الحالية وغيرها.

إمارة بني زبيري بن عطية الزناقي: في فاس سيطر عليها المرابطون بعد عام 460هـ .

إمارة بني خزررون في درعة وسجلماسة: سيطر عليها المرابطون عام 554هـ.²

إمارة بني يفرن: في سلا وتادلا سيطر عليها المرابطون عام 462هـ.³

ويعود فشل الزناتيين على العموم إلى عدة أسباب وهي:

1- اعتماد في سياستهم على الرابطة القبلية الفتية.

2- مهاجمة قبيلة صنهاجة القريبة لهم.

3- تدخل المروانيين في سياستهم بالمغرب طيلة القرن الرابع.

4- مهاجمة المرابطين لهم.

ويمكن أهم عامل حال دون انتظام السلطان لهم هو العامل الأول وهو سياستهم القبلية وضيق المفهوم

السلطاني لديهم ولم يستطع الزيانيون أن ينضجوا في سياستهم إلا في القرن بعد أن تفرسوا بالحكم على عهد

الموحدين.⁴

¹ - ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص 281.

² - عبد الواحد ذنون طه و آخرون، مرجع سابق، ص 287.

³ - لسان الدين محمد بن الخطيب، مصدر سابق، ص 165-168.

⁴ - راجع بونار، مرجع سابق، ص 158.

الخاتمة

خاتمة:

- و ما يمكن أن نستخلصه من خلال هذه الدراسة هو أن الصراع العربي البربري في عصر الولاية ببلاد المغرب الإسلامي ، قد مكنتنا من الوصول إلى عدة نتائج وهي:
- إن مجيء القادة الفاتحين إلى بلاد المغرب كان على أساس نشر الدين الإسلامي الأعلى أساس الصراع و التصادم مع البربر .
 - يعتبر عصر الولاية من الفترة ما بين الفتح و قيام أول دولة محلية مستقلة هو عصر الدخول في الإسلام و تحول المجتمع إلى مجتمع إسلامي .
 - برغم من الصعوبات التي واجهت العرب و بحكم غرابتهم على المنطقة إلا أنهم استطاعوا نشر الدين الإسلامي .
 - يعتبر البربر السكان الأصليين لبلاد المغرب ، و على الرغم الاختلاف دياناتهم إلا أنهم رحبوا بالدين الإسلامي الجديد .
 - تتابع على بلاد المغرب الإسلامي في عصر الولاية . حوالي عشرين واليا و بذلك نتج عن هذا العدد الهائل من الولاية انشغالهم بالخلافات و إهمالهم للفتوحات .
 - من أبرز مظاهر عصر الولاية تفشي روح العصبية بسبب السياسة المتبعة من طرف بعض خلفاء بني أمية .
 - انزياح السلطة المركزية إلى التيار القبلي و التمييز بين القبائل .
 - توجيه الأمويين لصراع القبلي نحو المغرب و توجيهه حسب مصالحهم .
 - ارتكاب بني أمية العديد من الأخطاء التي تضرر من خلالها أهل المغرب جعلهم يلجئون إلى السيف و الثورة .

- سوء المعاملة لكثرة المطالب التي أثقلت كواهل أهل المغرب حيث فقد أهل المغرب ثقتهم بالولادة و أصبحوا يشعرون بسوء الدولة الأموية.
- استغلال الخوارج لتذمر الرعية جراء التجاوزات الدولة الأموية .
- تهيئ كل الظروف و توفر المناخ السياسي و الاجتماعي حيث كانت هي المحرك الفعال لاندلاع شرارة أول ثورة مغربية ضد الإدارة الأموية في بلاد المغرب.
- إذا تأملنا في مدة الصراع بين العرب و البربر ، فأنا نخرج بنتائج قريبة المدى ظهرت فيها حركة فكرية متمثلة في الخوارج .
- أما النتائج بعيدة المدى فهي ظهرت كحركة سياسية متمثلة في ظهور ثلاث دول ، المدراية ، و الأغلبية و الرستمية وكانت هذه الدول في كل من المغرب الأقصى و الأوسط و الأدنى و كان هدف كل دولة سعيها للوصول إلى السلطة و برغم من عظمة هذه الدول إلا أنها زالت و بقيت إلا الإمارات الزناتية التي تمثل الدول المستقلة حتى استحوذ المرابطين عليها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

(1) المصادر :

1. ابن الأبار ، الحلة السيرة ، تح: حسين مؤنس ، القاهرة، د ط ، 1963.
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مر : محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1979 .
3. ابن خلدون عبد الرحمان ،مر: سهل بكار ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، ج3 ج6 ، ب د .
4. ابن دينار ، المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية ، ط1 ، 1286.
5. أبو زكرياء بن أبي بكر الوردجاني ، سير الأئمة وأخبارهم ،تح:إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،1984.
6. البلاذري أبو الحسن احمد،فتوح البلدان ،نشره صلاح المنجد،القاهرة ، د ط،1956.
7. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تح : أبو الفضل الإبراهيمي ، طبعة دار المعارف القاهرة ، 1964، ج4.
8. عبد الله بن العزيز البكري،المغرب في كل بلاد افريقية ،مكتبة امريكا والشرق، د ب، د ط ، 1967.
9. عبدا لله الازدي ،تاريخ علماء الأندلس،دار المصرية، مصر، د ط، 1966.
10. القيرواني الرقيق ، تاريخ إفريقيا والمغرب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1994

11. لسان الدين محمد بن الخطيب ، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الإسلام من ملوك الإسلام ،
تح: احمد العبادي ، دار الكتاب، الدار البيضاء ، ب ط ، 1964 .
12. م شهستاني محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،
1975 ، ج 1.
13. المراكشي ابن عذارى ، بيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، مر : ج س كولان ،
دار الثقافة ، ط 3 بيروت لبنان ، 1983 ، ج 1.
14. المقري شهاب الدين ، نفح الطيب ، غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ، لسن الدين بن
الخطيب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، 1946 .

(2) المراجع :

✓ الكتب:

1. بدوي يوسف علي ، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط ، ط 1
، د س .
2. بونار رابح ، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، ط 3، الجزائر، 2000،
3. البيضاوي إبراهيم ،الدولة الأموية والمعارضة ،مدخل في كتاب السيطرة العربية للمستشرق
الهولندي ،فان فلونتن ،دار الحداثة، د ط ، 1980.
4. الجنحاني الحبيب،دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ،بيروت،د
ط، 1980.
5. حسن محمد بن ، قبائل الأرياف المغربية في العصر الوسيط ، دار الرياح الأربعة ، د ت .

6. محمودة حسن احمد ، قيام دولة المرابطين ، صفحات مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، مكتبة النهضة المصرية، د ط، القاهرة 1957 .
7. محمودة عبد الحميد حسين ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دار الثقافية للنشر ط1، القاهرة مصر ، 2007
8. محمودة عبد الحميد حسين ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط1،الدار الثقافية للنشر ،مصر، 2007.
9. الدرجيني احمد بن سعيد ، طبقات المشائخ المغرب، تح: طلاي ، مطبعة البحث قسنطينة ، د ط، 1974
10. رينهارت دوزي ،تاريخ مسلمي اسبانيا،تر:حسن حبشي،مر:جمال محرز واحمد مختار العبادي ،دار المعارف،مصر ، دط،1963.
11. سالم عبد العزيز ،المغرب الكبير في عصر الإسلام(دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية)،دار القومية لطباعة والنشر،الإسكندرية ،1966.
12. الصلابي علي محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي
13. عثمان فيلاي ،البربر ،تق ،سعد بوفلاقة ،مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ،2010.
14. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة النهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، د ط، د س،
15. فيلاي عبد العزيز المظاهر الكبرى في عصر الولاة لبلاد المغرب و الأندلس دار هومة للنشر والتوزيع
16. كعاك عثمان ، البربر ، تق: سعد بوفلاقة ، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، 2010 .

17. لقبال موسى ،المغرب الإسلامي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 2 .
18. مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، تر : لا فونت دي القنطرة ، مدريد 1867 .
19. مؤنس حسين ، ثورات البربر في افريقية والأندلس بين سنتي 102 هـ -136هـ،مجلة كلية الآداب،جامعة فؤاد،م ج 10،ج 1،القاهرة،1948.
20. مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب العربي ، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية ، د ط، 2004 ،
21. مؤنس حسين ،أطلس تاريخ الإسلام ،الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ،ط1، 1987،
22. مؤنس حسين ،معالم تاريخ المغرب العربي والأندلس ،مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية ،دط ،2004،
23. محمد طه ، دروس فقي تاريخ الإسلامي، مطبعة الاستقامة ، ط1 ، ج1، 1934
24. محمود إسماعيل ،قضايا في التاريخ الإسلامي،منهج وتطبيق،دار هومة ،بيروت ،1974.
25. الميللي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 2 ، ج 2 ، د س
26. يوليوس فلهوزن ،تاريخ الدولة العربية مع ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ،تر: محمد عبد الهادي أبو ريده ،القاهرة،1958 .
- ✓ الرسائل الجامعية:
27. بوبة تجاني ،اثر العرب اليمينية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاث الأولى للهجرة ،رسالة ماجستير،القاهرة 1982.

الفهارس

أولا : فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام
52	إبراهيم بن الأغلب
46	إبراهيم بن غالب المزابي
19	أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى
45	أبو القاسم سمعون
25	أبى مهاجر دينار
17	إسماعيل بن عبد الله
15	أفريقش بن قيس بن صفى .
16	بر بن قيس
20	بلج بن بشير القشيري
21-20	حبيب بن أبى عبدة الفهري
30	الحجاج بن يوسف الثقفي
21-13	حنظلة بن صفوان .
44	خالد بن حميد الزناتي
43	زياد بن المظفر
17	سليمان بن عبد الملك
47-46	شاکر محمد بن الفتح
28	صفوان الكلبى اليمنى
22-21	عبد الرحمان بن حبيب الفهري
49-48	عبد الرحمان بن رستم
43	عبد الله بن أباض التميمى
18-17	عبد الله بن موسى
52	عبد الله محمد الثانى
19	عبيد الله بن الحباب
19	عثمان بن أبى عبيدة الفهري
25	عثمان بن عفان

أولا : فهرس الأعلام

19	عقبة بن الحجاج
19	عقبة بن قدامة
25-22	عقبة بن نافع
43-33-25	علي بن أبي طالب
27	عمر بن الخطاب
29-27	عمر بن عبد العزيز
20	عمر بن عبد الله المرادي
45	عيسى بن يزيد بن ساعد
21-20	كلثوم بن عياض القشيري
48	محمد أبا الأشعث
46	محمد بن الميمون المكناسي
27	محمد بن يزيد القرشي
43	معاوية بن أبي سفيان
46	المعتز بن محمد بن ساور
45	المنتصر بن يسع المكناسي
11	موسى بن نصير
44-43-20-13	ميسرى المدغري
21-20-19-13	هشام بن عبد الملك .
11	الوليد بن عبد الملك
18-17	يزيد بن أبي مسلم
18	يزيد بن عبد الملك
14	يعرب بن قحطان

الصفحة	الأماكن
20-13	الأشراف
21-13	الأصنام
44-17-15-11	افريقية
30-21-19-11	الأندلس
17	البحر المتوسط
37	برقة
21-13	بقدورة
12	بلاد المشرق
49-48-47-11	تاهرت
26	الجزيرة العربية
15	الحجاز
36-34-12	دمشق
39	الزاب
54-46-45-44-11	سجلماسة
19	سردينيا
20-19	سرقوسة
11	السوس
14	سيناء
20-15-14	الشام
27	صحراء فزان
50-20-19	صقلية
48-20	طرابلس
20	طنجة
26-14	العراق
56-13	فاس

ثانيا : فهرس الأماكن

40-39-22-21-11	القبروان
37	المحيط الأطلسي
21-20-19-12	مصر
47-17-12-11	المغرب
39	المغرب الأدنى
20	المغرب الاسلامي
47-20-11	المغرب الأقصى
47-38-11	المغرب الأوسط
34	مكناسة
17	الهند
15	اليمن
15	اليونان

الصفحة	فهرس المحتويات
03	شكر وعرفان
04	قائمة المختصرات
07	مقدمة
09	تمهيد
10	الفصل الأول: عصر الولاة ببلاد المغرب .
11	المبحث الأول: تعريف عصر الولاة .
14	المبحث الثاني: أصل العرب والبربر .
17	المبحث الثالث: الولاة وأهم أعمالهم
17	أ/ مرحلة الاستقرار .
19	ب/ مرحلة اللااستقرار.
21	ج/ مرحلة السقوط .
23	الفصل الثاني: التصادم العربي البربري وبداية الصراع.
24	المبحث الأول: تفشي الروح العصبية بين القبائل العربية .
29	المبحث الثاني: الممارسات السلبية للإدارة الأموية في بلاد المغرب .
33	المبحث الثالث: انتشار المذهب الخارجي (الصفري و والاباضي).

36	المبحث الرابع: أهم الثورات .
42	الفصل الثالث: نتائج الصراع العربي البربري .
43	المبحث الأول: نتائج قريبة المدى (الحوارج).
44	المبحث الثاني: نتائج بعيدة المدى .
44	أ/ المدرارية .
47	ب/ الرستمية .
50	ج/ الأغالبة .
56	خاتمة
59	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس الأعلام
	فهرس الأماكن
	فهرس المحتويات